مزيل الأوهام ومصباح الظلام
في
شرعية الاحتفال بمولد خير الأنام

تأليف
طيب ملا عبدالله البحركي

الطبعة الأولى
ترتيب وتنظيم
المحروس أبوبكر ملا طاهر البحركي
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م – ٢٧١٣ ك

من منشورات
اتحاد علماء الدين الاسلامي في كوردستان
تسلسل (٣١)

اسم الكتاب: مزيل الأوهام ومصباح الظلام في شرعية الاحتفال بمولد خير الأنام.
اسم المؤلف: طيب ملا عبدالله البحركي.
اسم المطبعة: رۆژهەلآت– اربيل
رقم الطبعة: الأولى.
سنة الطبع: ٢٠١٣ م – ١٤٣٤ هـ.
عدد النسخ المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة.
تصميم: المحروس أبوبكر ملا طاهر البحركي.
تنضيد: نافع ملا طيب البحركي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) سورة التوبة

صدق الله العظيم

مرحبا بمولده (صلى الله عليه وسلم)

منذ زمن بعيد تحتفل مدن أقليم كوردستان عامة والعاصمة أربيل بشكل خاص بذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وذالك بإقامة إحتفالات دينية وحلقات ذكر ومناقب نبوية في عموم مساجد البلاد ويشارك فيها الآف من المواطنين بمختلف فئاتهم العمرية، هذا دأب الكورد منذ القدم وإلى يومنا هذا، في شهر ربيع الأول (شهر المولد النبوي) الزائر إلى أربيل لا يستطيع وصف هذا الفرح الذي يملاء قلوب الكورد نساءً و رجالاً وأطفالا، وتلقى فيها خطب وتواشيح دينية للإحتفاء بالمناسبة السنوية التي لم تنقطع عن كوردستان منذ زمن السطان مظفرالدين الكوكبوري تعظيماً للرسول الكريم واستذكاراً لمناقبه الشريفة.

وكثر الحديث وطال الجدل حول الإحتفال بيوم المولد وإحياء هذه المناسبة العظيمة بين المؤيدين والمعارضين... إنَّ ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) والتعلق به يجب أن يكون في كل حين وفي كل وقت، وليس في ليلة مولده فقط، لأن الإحتفال بمولده يعني ذكر سيرته والصلاة عليه، والتمسك بهديه، وهذا ليس مخصوصاً بليلة مولده فقط، لأن ذكره والتعلق به يجب أن يكون شعاراً لنا في حياتنا وأن تمتلأ نفوسنا به، و اعتاد الناس قديماً في المجتمعات الإسلامية على إحياء هذه المناسبة في شهر ربيع الأول وذلك ليكون إقبال الناس واجتماعهم في هذا الشهر، وشعورهم الفياض بإرتباط الزمان بعضه ببعض، فيذكرون بالحاضر الماضي، وينقلون من الشاهد إلى الغائب.

وأن أغلب قصص المولد مأخوذة من كتب السير، فإن وجد فيها الضعيف فأهل الحديث لم يشترطوا في السير ما يشترط في الحديث، ومع ذلك يجب علينا أن ننقيها من الشوائب، حيث أن الإجتماع للمولد النبوي الشريف هو وسيلة كبيرة للدعوة إلى الله تعالى، فمن الواجب على الدعاة والقائمين بهذه الإحتفالات تذكير الأمة بنبيهم وأخلاقه وسيرته، وما يعمل في المولد ينبغي أن يقتصر فيه على مايفهم منه الشكر

لله تعالى من التذكير بسيرته العطرة، وإطعام الطعام، والصدقة وإنشاد المدائح النبوية المحركة للقلوب.

أما إذا اشتمل الإحتفال بالمولد على شئ مما يجب الإنكار عليه كإختلاط الرجال بالنساء وكثرة الإسراف مما لايرضى الله ورسوله فهذا لاشك في منعه لما إشتمل عليه من المحرمات ، ولايخفى على أحد أن تحريمه في هذه الحالة يكون عارضاً لا ذاتيا .

وبإتفاق جميع المؤيدين للمولد لانجد أنّ أحدا منهم يقول: إنه عيد زائد على العيدين(الفطر والأضحى)، فالمولد النبوي الشريف ليس عبادة توقيفية، ولو كان المولد عبادة للزم أن يكون له شكل مخصوص ونص مخصوص، وواقع الحال يثبت لنا أنّ المولد يختلف شكلا وهيئة من قطر لآخر، ومن المعلوم أنّ الفعل المباح إذا كان مقترناً بنية الطاعة فهو قربة وطاعة بإعتبار النية الصادقة على ذلك .

بعد كل هذا نستطيع أن نقول بأنّ أمر المولد أمر اجتهادي، فمن شاء فعله، ولا ينقض اجتهاده، مع أنّ غالب الأمة تحتفي بمثل هذا اليوم وتعظمه إمتثالاً لقوله تعالى (ذالك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وأي شعيرة أفضل من الرحمة المهداة (صلى الله عليه وسلم) الذي أرسله الباري رحمة للعالمين، (قل بفضل الله وبرحمته فبذالك فليفرحوا هو خير مما يجمعون).

وما قام به شيخنا الجليل الملا طيب بن ملا عبدالله البحركي من بين هذه الصفحات لعملٌ جليلٌ و خدمة متواضعة يقدمها الى إخوانه العلماء لإزالة الغموض و الشوائب حول شرعية الإحتفال بمولد خير الأنام، نرجوا من الله العلي القدير أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

عبدالله ملا سعيد ملا ويسى گرتكى
رئيس اتحاد علماء الدين الإسلامي في كوردستان
أربيل- اقليم كوردستان ٢٠١٣/١٠/٣٠

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأتباعه باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فلقد كثر الجدال في الآونة الأخيرة بين الناس وخاصة طلاب العلم حول حكم الاحتفال بمناسبة يوم ولادة سيد ولد آدم (a)، فقد ذهب البعض إلى الجواز، وقد منع البعض الآخر، وهذا الاختلاف في الأحكام الشرعية وارد ولا بأس به، وقد اختلف أئمة المذاهب الأربعة، وقد عاشوا في خير القرون، وهم سلف هذه الأمة، وهم أفضل منا، لكن البعض قد بالغ في هذه المسألة وجعل الإنفاق في مثل هذا اليوم مثل الإنفاق على شرب الخمر، وجعل التردد على مجالس المولد مثل التردد على حانات الخمور، وسمّى البعض هذه المناسبات بالمواليد الشركية "أعاذنا الله منها جميعا"، لذلك رأى عمّي وأستاذي الشيخ طيب ملا عبدالله البحركي طيّب الله أفكاره، وبارك في عمره وعمله، وحفظه من كل سوء، أن يكتب إيضاحاً في هذه المسألة، ويبين فيها حكم الشريعة.

فقد بين المؤلف شرعية الاحتفال بهذه المناسبة العظيمة، واستدل بالكتاب، والسنة، وعمل أصحاب رسول الله(a) بعد وفاة النبي(a)، واستدل بالقياس أيضاً، وكل ذلك بأسلوب علمي رصين، بعيد عن الافراط والتفريط، بحيث عندما تقلب صفحات الرسالة كانك أمام كتب وأبحاث العلماء القدامى، وعند قراءة الرسالة يتبين أنني ما بالغت في ذلك، وكذلك استخدم المؤلف اسلوبا سهلاً بعيدا

عن التعقيد ليفهمه جميع طلاب العلم، على اختلاف مشاربهم، ومستواهم، واستدل المؤلف أيضاً بأقوال العلماء من المحدثين والفقهاء الذين استحسنوا عمل المولد النبوي، فترى أن الغالبية منهم استحسنوه.

ونظراً لأهمية الرسالة فقد رأى رئيس اتحاد علماء الدين الاسلامي الأخ الفاضل ملا عبدالله ابن الشيخ الجليل ملا سعيد الگرتكى "رحمه الله"، أن يطبع هذه الرسالة على نفقة الاتحاد، وهذا ليس عزيزاً عليه فهو من سلالة العلامة محمد ابن آدم البالّه‌كى، جعل الله هذا الجهد في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وكانت هذه الرسالة مسألة من مسائل كتاب (إرشاد المهتدين في إيضاح بعض المسائل من الدين) الذي لم يطبع لحد الآن، لذلك فقد قمت بفصل هذه المسالة، وجعلتها رسالة مستقلة ليستفيد منه طلاب العلم، ولا نبتغي إلاّ وجه الله، ولا نريد إلاّ بيان الحق، ولا ننتصر رأياً على رأي لعصبية، أو شيء آخر، والحق أحق أن يتبع، ((هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ))، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأتباعه ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

كتبه

المحروس أبوبكر ملا طاهر البحركي

٢٠١٣/٠٨/٣٠

حياة المؤلف كما ورد في كتاب حياة الأمجاد
بقلم: طاهر ملا عبدالله البحركي

طيب بن الحاج ملا عبدالله بن الحاج ملا سليمان بن فقي محمد بن أحمد بن عزيز بن رسول، عشيرة (گەردى)، ولد في شهر شعبان سنة ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م في قرية (دارەبەن) حسبما سجله الوالد في الصفحة الأولى المجلد الثامن من التحفة، بدأ بالدراسة في قرية (بنەسراوە) الكبرى عند جده للأم ملا أحمد الآشوكاني، فختم القرآن الكريم، وبدأ بالتصريف الزنجاني هناك، ثم رجع إلى (بەحركە)، وقرأ كتب المرحلة الأولى عند طلاب والده، ثم ذهب إلى قرية (گردارەق)، درس فيها ستة أشهر عند خاله ملا مسعود، رجع بعدها إلى (بەحركە)، وتعلم من عمه ملا عبدالقادر، إلى ان أكمل كتاب (الجامي)، فعنئذ بعثه عمه إلى الوالد (رحمه الله) ليعلمه المنطق، فبدأ عنده بكتاب حسام كاتي شرح الايساغوجي، فكان يدرسه في البيت بعد صلاة الفجر مباشرة، ثم يغدو يدرس الطلاب في المدرسة، فواصل الدراسة ويعلم من دونه فيها إلى ان بلغ أواخر كتاب (المختصر) فتوفى الوالد سنة ١٩٦٥م، ولما تم العزاء حضر في الجامع من العلماء يرأسهم المرحوم ملا علي ملا عبدالله البيتواتي، ألقى فيه خطبة بليغة وألبسه الجبة والعمامة، وأثبت أنه قائم مقام الوالد في التدريس، والامامة، والخطابة، فشرع في الأمر، وكان الشيخ مصطفى النقشبندي غائبا عن الحضور لسفره إلى (بغداد)، فلما رجع جاء إلى (بەحركە)، وتاسف على الوالد، فبكي، وأبكى، ثم قال: هذه مدرسة عريقة يأتيه الطلاب من كل الارجاء، وأنت لم تكمل الدراسة، فينبغي أن تتمها، وتأخذ الاجازة العلمية ثم تقوم بالواجب، وتنفيذا لقرار الشيخ رحل إلى الخانقاه، وذهب معه نخبة من طلابه، هم: ملا صديق الحاج سعيد، ملا جميل ملا علي، ملا اسماعيل الزراري، ملا أنور الشوكي، وأنابني مكانه لواجبات التدريس، والامامة، والخطابة.

أقام في الخانقا، وخصص الشيخ لتعليمه علماء أفاضل، هم: ملا شريف الدوشيواني، ملا طيب الدوشيواني، ملا خليل المخلص، ملا أبوبكر الكويي، وأكمل عندهم الكتب التالية: شرح جمع الجوامع، شرح تهذيب الكلام، تشريح الافلاك مع حاشية (منه)، خلاصة الحساب، الربع المجيب، اشكال التأسيس، وكان يزور الشيخ عصر كل يوم لحل ما أشكل من هذه الدروس وغيرها، وفي ١٩٦٦/١١/١٤م منحه الشيخ الاجازة العلمية في (بحركه)، وأقيم حفل عظيم بهذه المناسبة، حضره جم غفير من العلماء، واعيان اربيل، وكركوك، وموصل، وعقرة، وضواحي اربيل، ومنطقة (بەرانيان)، فأخذ في التدريس، وتدافق عليه الطلبة من الجوانب، تخرج عنده علماء أصبحوا فيما بعده أئمة وخطباء.

وممن درسوا عليه ممن يحضرني اسمائهم: ملا محمد جبار، ملا عبدالقادر ابن الحاج رسول البحركي، ملا ابراهيم الهرشمي، ملا خليل سعيد، ملا محمد البنيناني، ملا محمد الخوشكاني، ملا اسماعيل الزراري، ملا انور الشوكي، ملا صديق الحاج سعيد، ملا جميل ملا علي، ملا عبدالله مولود، ملا صادق المزوري، ملا طاهر (كاتب هذه الرسالة)، ملا سعدالدين ملا مسعود، ملا ابراهيم الورتي، ملا صابر الخيلاني، ملا عبدالسلام شێخەلاس، ملا شمس الدين حامد، ملا محمد الوەرى، ملا محمد الگورگەيى، ملا جمال الوەرى، نجم الدين الشيخ أحمد، مصطفى السەكرى، عصام الهەسنانى، ملا فائز البيرێژى، ملا سليمان الپيرئۆمەري، ملا محمد الشۆرى، ملا نبي الكەورەبەنى، ملا يوسف الكاداني، ملا محسن ملا حمد البحركي، ملا سيد اسماعيل الدەربەندى، ابوبكر ملا طاهر، اسعد ملا طيب.

ومنهم من أخذ الاجازة العلمية في حفل كبير في (بحركه)، وهم:

- ملا عبدالله عبدالقادر الوەرتى....
- ملا رضا السورچى في: ١٩٨٤/٢/٢م

- ملا عبدالستار حسن السيّوەسەنى في: ١٩٨٨/٦/٢م
- ملا محمد أحمد الهەلّشوّيى في: ١٩٩٠/٨/٢٠م
- ملا محمد عبدالرحمن الشيخ وەتمانى في: ١٩٩٢/٨/١١م
- ملا سعدالدين ملا مسعود في: ١٩٩٢/٩/١٥م
- ملا عبدالله الحاج محمد الهرشمي في: ١٩٩٤/١٠/٢٤م
- ملا حيدر محمد الآفرياني في: ١٩٩٤/١٠/٢٤م
- ملا فتحي جرجيس الباوەخەلانى في: ١٩٩٨/١١/٥م
- ملا سيد أحمد سيد اسماعيل في: ١٩٩٨/١١/٥م
- ملا نورالدين أحمد السيّگرتكانى في: ١٩٩٩/١٠/٧م
- ملا عصام الدين (ابنه) في: ٢٠٠١/٩/٢٠م
- ملا مظهر عبدالله الچوّمبارۆكى في: ٢٠٠١/٩/٢٠م
- ملا ناصح حسين السورچى في: ٢٠٠٢/١٠/٣م
- ملا صديق الحاج سعيد صوفي سلطان في: ٢٠١٠/٨/٥م

مراحل وظائفه:

§ عين واعظا رسميا في: ١٩٦٤/١/٩م
§ أصبح إماما في: ١٩٦٤/١/٢٨م
§ صدر الامر له بالتدريس في (بەحركه) في: ١٩٦٧/٢/٤م
§ اصبح مدرسا ومديرا للمعهد الاسلامي في (بەحركه) في: ١٩٦٨/٥/٤م
§ نقل إلى المعهد الاسلامي في (اربيل) في: ١٩٨٧/٣/٣م
§ رجع إلى (بەحركه) للامامة فقط في: ١٩٧٦/١٠/١٩م، اضيفت له الخطابة إلى الامامة في ١٩٨٨/٤/٢٢م
§ أحيل على التقاعد ورجع إلى وظيفته بالعقد في: ٢٠٠٤م

§ أصبح عضوا للجنة الفتوى العليا في (اربيل) في: ٢٠٠٤م

مولفاته:

١. حجج المتقين في بعض المسائل من فروع الدين، طبع في أربيل ٢٠٠٤م.
٢. عمدة الزواء في بعض مسائل الحج والاعتمار.
٣. المفتاح المعتمد لمرويات الشافعي في المسند، فرغ منه ١٤٢٦ هجري.
٤. هداية الباقي بشرح ألفية العراقي، شرح درر السنية للحافظ العراقي تحت الطبع.
٥. حه ج نامه.
٦. إرشاد المهتدين.

أولاده: عصام الدين ١٩٦٩م، عاصم ١٩٧١م، أسعد ١٩٧٧م، نافع ١٩٨٣م، عبدالسلام ١٩٨٦م.

صفاته: رجل بشوش، حلو الكلام، فسيح المجلس، رفيع القدر، غنّي النفس، اجتماعي بلا خمول، منشرح الصدر، وقور مهيب، وفيّ لبيب، صدوق، موثوق، مرجع الفتوى للمنطقة، شغوف بالتدريس، الكتاب له نعم الجليس، كريمٌ مكرم، جسيم وسيم، وجيه وقور، متدين جسور.

وفي سنة ١٩٥٨م نفد الطلاب في أغلب مدارس كردستان، ولكن مدرسة بحركة كانت عامرة، فهو يقرأ عند الوالد من جانب، ويدرس الطلبة من جانب آخر، وفي سنة ١٩٨٠م أغلقت سلطات البعث المدارس الملحقة بالجوامع، وبعثت لجنة خاصة إلى أربيل حذّرت العلماء من إلقاء الدروس الدينية فيها، ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ مدرسة" بحركة" كما كانت، وآوت من هجر من أربيل إليها من الطلاب، حتى حصلوا على الإجازة العلمية، وأصبحوا أئمة فيما بعد.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لإتباع ومحبة سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى شد دعائم الدين، ويسر لنا اقتفاء آثار الأسلاف الصالحين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والنفاق في أمور الدين، والصلاة والسلام على محمد المصطفى المولود فالمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى المؤيدين لرسول الله في نشر الدين، والمحبين لذكرى ولادته وبعثته ومعراجه إلى عرش رب العالمين.

أما بعد: لقد سافرت إلى محافظة أربيل، صانها الصانع بلطفه الجزيل، يوم ثاني عشر ربيع الأول عام ١٤٣٤هـ، فرأيت المدينة قد زينت، وطرزت جدران أبنيتها، وواجهات مبانيها، وعماراتها، ودوائرها، ودكاكينها، وجميع أشباحها بأنواع التطريز، واللوافت، فكأن في كل بيوتها، ومساكنها زفاف عروس، وآلاف الأعلام ترفرف مكتوب عليها (محمد رسول الله) a ، ورأيت الناس كلهم كأنهم حضروا أنفسهم للرقص سرورا بولادة سيد الخلق a ، في هذا اليوم السعيد، فمن هذا أبيح بعض المطاعم للفقراء، وكذلك بعض المخابز، ومحال بيع الحلويات، والمرطبات، فترى الصينيات موضوعة مرفوعة على الشوارع، والطرقات، فيشير اصحابها الواقفون لديها إلى تعريج المارة إليها، وعندما تذهب إلى المساجد، والجوامع، والتكايا، والخانقاهات ترى الأطعمة، والفواكه، والحلويات موضوعة للفقراء، والأغنياء على السواء، وتسمع في المحال المذكورة وغيرها الأصوات المليحة بالمدائح النبوية، والصلوات المصطفوية، والأذكار والأشعار الدينية، بحيث إذا تأملت، ودققت النظر في كل ذلك يأخذك الحماس الديني، وتستزيد في محبة سيد ولد آدم، وفخر المرسلين محمد المصطفى المختار(a).

فيا أيها الأخ الكريم! إن الغرض من هذه كلها هو الانقياد، والخضوع،

والعبودية لرب العالمين، ومحبة للرسول المصطفى الأمين (a)، وسرور بولادة سيد المرسلين، فما رأيت في تجوالي في المدينة المذكورة المحروسة في ذلك اليوم أي منكر شرعي، فمن هنا ترى صدقة، ومن هناك ذكر الله عزوجل، ومن هنالك تسمع صلوات على رسول الله (a)، ومن ههنا مدائح نبوية، وغير ذلك من الشعائر الدينية السارة.

أيها العزيز! ترى مع كل ذلك المحاسن الشرعية قد ينكره بعض الناس بحجة أن هذه المحاسن المذكورة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فهل تتصور أيها المسلم العاقل أن صانع هذه المكارم يكون بها في النار بدلا عن مجازاته بخير الجزاء؟ والله الذي لا إله إلا هو هذا لا يليق بكرم وعطف وشفقة وحكمة رب العالمين، فساقتني هذه الأفكار الفاسدة الفاشلة إلى مراجعة المراجع لأكتب تحريرا أوضح فيه حقيقة الحكم الشرعي في إقامة هذه الاحتفالات بهذه المناسبة النبوية الكريمة، هل هي بدعة ضلالة جزاء القائم بها النار؟ أم هي بدعة حسنة مأجور من يقوم بها أجرا حسنا؟ أم هي سنة سنية جزاء المحيي لها شفاعة سيد المرسلين، ثم جنة رب العالمين التي أعدت لعباد لله الصالحين، فباشرت بالتحرير المذكور وكتبت فيه ما وفقني الله بفضله، فأتى ولله الحمد فوق مرامي، ولما وصلت إلى الاختتام سميته (مزيل الأوهام ومصباح الظلام في شرعية الاحتفال بمولد خير الأنام a)، فأرجوا وآمل من الباري عزوجل أن يجعل المسمّى مطابقا لاسمه.

أيها الأخ المجيد دقق النظر فيما كتبته في هذا التحرير، واقرأه من أوله إلى آخره بعين الإنصاف، واحكم على الموضوع بما وصل إلى قلبك المطمئن، فإن الحق الحقيق قد أشرف بنوره على فؤادك، فلا تجعل عليه غشاوة مداراة وتملقا لأقرانك، فإن الوعيد شديد في حق من علم الحق ولم يتبعه، أو كتم الحق ولم ينشره بين المسلمين، فها أشرع في المقصود بعون الملك المعبود.

أدلة شرعية الاحتفال بالمولد

إن أصل حجة شرعية الاحتفال بمناسبة ولادة الرسول الأكرم a مأخوذ ومستخرج من السنة النبوية المطهرة، كما ستقف عليه في ما بعد، وأما الاحتفال بهذا الشكل المعتاد من الاجتماع في مكان، ثم المباشرة بقراءة ما تيسر من القرآن المجيد، ثم بالصلوات، والأذكار، والمدائح، والأشعار، ثم بتقديم المأكولات من الأطعمة، والحلويات، والأشربة وغير ذلك، فيعتبر من البدع الحسنة.

وليعلم أن البدعة نوعان: نوع سماها رسول الله a بدعة ضلالة في قوله a : ((ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى بها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها))[١]، فلو كانت البدعة نوعا واحدا لكانت إضافة بدعة إلى ضلالة ضائعة لا فائدة فيها، وهذا بعيد غاية البعد من كلام صادر من معدن الرسالة العظمى، والنوع الآخر من البدعة هي التي سماها رسول الله a إشارةً في قوله a : ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها))[٢]، أي: من أبدع ما لم يكن له مثال سابق من الأفعال الخيرية والنافعة للمجتمع كان له ذلك الأجر العظيم، وهذه هي التي نحن نسميها بالبدعة الحسنة، ولها أمثلة كثيرة منها: جمع القرآن المجيد في عصر الخليفة الراشد أبي عبدالله أبي بكر الصديق c ، ففي صحيح البخاري حديث طويل، وفيه: ((لما وليّ الصديق c ، وساق الجيش لحروب الردة، استشهد من حفاظ القرآن نحو من سبعين شهيداً، فأتى عمر بن خطاب إلى الصديق c ، فقال له: إني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: ٢٦٧٧، والإمام أحمد في مسنده: ١٠١٧٨، وغيرهما.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: ١٠١٧، والترمذي في جامعه، رقم: ٦٧٥.

الأخرى، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقال الصديق: كيف نفعل مالم يفعله رسول الله a ؟ فقال عمر: هو والله خير، ثم شرح الله صدر أبي بكر، ورأى ما رأه عمر، فأمر الصديق زيد بن ثابت أن يشكل لجنة لجمع القرآن، فقال زيد للصديق: كيف نفعل مالم يفعله رسول الله a ؟ فقال الصديق: هو والله خير، فشرح الله صدر زيد لما شرح له صدر أبي بكر وعمر، انتهى[١].

فإن الصديق وعمر وزيدا لما رأوا مصلحة في جمع القرآن، ولم يروا أي نهى من الشارع عنه أمروا به، واستدلوا على مشروعيته بـ(أنه خير)، أي خير بحت لا شائبة للشرّ فيه، وهذه المقدمة يسميها أهل علم الميزان صغرى، وكبراها مطوية، وهي وكل خير بحت دين، ومشروع، ومحكوم عليه بالحسن، فدلت هذه الحادثة على أننا إذا رأينا حادثة مَا لم ينص الشارع على حكمها من الفعل والترك، ورأينا نحن في فعلها خيرا ظاهرا، ولم نر فيه مخالفة للشريعة المطهرة علينا أن نحكم بشرعيته، ونعتبره سنة نبوية، بقوله a : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين))[٢]، ويعبر الفقهاء الكرام عن أمثال هذا الحكم بالبدعة الحسنة ونعم ما عبروا.

قال في فتح الباري: قال الإمام الشافعي c ، المحدثات في الأمور ضربان، ما أحدث مما يخالف كتابا، أو سنة، أو أثرا، أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة، والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لأحد من العلماء، وهذه محدثة غير مذمومة[٣].

---

(١) الجامع الصحيح البخاري، رقم: ٤٦٧٩ و ٤٩٨٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، رقم: ٤٧٠٧، والترمذي في جامعه: ٢٦٧٦.

(٣) فتح الباري للعسقلاني: ٢٥٣/١٣.

فعلى تقسيم البدعة إلى الحسنة والسيئة أدلة كثيرة، وذهب إلى ذلك جماهير العلماء، ومنهم امامنا الإمام الشافعي v ، ومنهم أمثال الإمام الغزالي، وابن عبد السلام سلطان العلماء، وابن الصلاح، والنووي، والعسقلاني، وكثيرون غيرهم، وقدوة هؤلاء الأعلام في هذا الحكم الحكيم هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب c الذي أعز الله به الإسلام حينما أشار إلى صفوف التراويح بهذا الشكل الذي لم يسبق في زمن الرسول الأكرم a قائلا: ((نعمت البدعة هذه)).

فقوله a : ((وكل بدعة ضلالة))[١]، فمعناه كل بدعة سيئة قبيحة ضلالة، وعدول عن الجادة، والطريق الحق، فإنه من العام المخصوص بالأدلة السابقة، وغيرها الكثيرة، ومن القواعد الأصولية التي اشتهرت على الألسنة اشتهار الأمثال: (ما من عام إلاّ وقد خص)[٢]، ألا ينظر إلى قوله عزوجل: ((قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا))[٣]، فلم يرد عزوجل الجعل على كل الجبال الموجودة على كرة الأرض كما يقتضيه اللفظ، فإنه غير مطاق، بل أريد بعض الجبال التي يمكن الوضع عليها من الجبال القريبة، وإلى قوله عزوجل: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ))[٤]، فمن المعلوم البديهي أن هؤلاء الفسقة لم تفتح لهم أبواب جميع الخيرات والنعم، بل استدرجوا ببعض النعم كالرخاء، وسعة العيش، وبعض من أمثالها، وإلى قوله تعالى: ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ))[٥]، فمن المعلوم

(١) أخرجه أبو داود في سننه، رقم: ٤٧٠٧، والترمذي في جامعه: ٢٦٧٦.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٤٤.
(٣) أصول الأحكام، الدكتور حمد عبيد الكبيسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥: ٢٩٤.
(٤) سورة الأنعام، آية: ٤٤.
(٥) سورة النمل، آية: ٢٣.

العقلي أن هذه الملكة ما كانت تملك كل شيء متصور في الذهن كما يقتضيه ظاهر لفظة (كل)، بل كانت مالكة للأشياء التي يحتاجها ملوك ذلك الزمان من العَدد والعُدد وغيرها، فإن هذه العمومات المأخوذة من الصيغ المذكورة في الآيات الكريمات السابقة كلها قد خصت كما علم، ولأمثالها أمثلة لا تحصى في الكتاب المجيد، والسنة السنية، فقوله a : ((وكل بدعة ضلالة)) من ذلكم القبيل، فلا حرج في ذلك لا شرعاً ولا لغة ولا عرفاً.

وقوله a : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[1]، معناه من اخترع من قبل نفسه شيئا مدعيا أنه من الدين، والحال أنه يكون منافيا للدين، ومخالفا لأدلته، وقواعده الممهدة المحكمة، ومتناقضا له فهو مردود، وباطل، وغير مقبول، فإن إيجاب الشيء وليسيته متناقضان كما هو مقرر في علم الميزان.

بالله عليك أيها القارئ الكريم! هل من المعقول أن العلماء المذكورين، وهم من فحول المحدثين، لم يطرق اسماعهم حديث: ((وكل بدعة ضلالة))، وحديث: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، الذين يحفظهما الصبيان في الكتاتيب، أو سمعوهما، ورووهما، وشرحوهما، لكن لم يعرفوا المراد الحقيقي منهما، فبقى الحديثان مجهولي المعنى من أوائل عصر التدوين إلى ظهور الوهابيين في نجد الحجار، فهذا الحكم البين بطلانه لا يصدقه ذووا عقول سليمة.

هذا وللبدعة الحسنة غير عمل المولد الشريف أمثلة كثيرة، منها: جمع القرآن المجيد في عصر الصديق، كما سبق، وكطبعه، وإرساله إلى الآفاق البعيدة، كما يفعله السعوديون والخليجيون أثابهم الله.

---

(١) متفق عليه، بخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨.

ومنها إقامة صلاة التراويح بهذا الشكل الذي نحن نصليه، من إقامتها جميع ليالي رمضان بعشرين ركعة، فإن رسول الله a لم يصل التراويح بجماعة الناس إلاّ في ثلاث ليالي، وهي الثالثة والخامسة والسابعة بعد العشرين من رمضان، فأمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب c في عصر خلافته بإقامتها كما ذكر بمحضر من الصحابة، وبموافقتهم، ومنهم ثمانية من العشرة المبشرين بالجنة، ولم ينكر عليه أحد، بل إن علي بن أبي طالب c دعا لعمر بتنوير قبره الشريف لتنوير المسجد بهذه التراويح المنورة، فصار هذا الابداع مجمعاً عليه، فابدع به[١].

ومن البدع الحسنة أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان "رضي الله عنهما" أمرا بجلد شاربي الخمر ثمانين جلدة، بدلاً مما هو مأثور عن رسول الله a من جلدهم أربعين جلدة، ورضي بذلك واستحسنه وأمر بتنفيذه علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، ولم يعترض عليهما أحد[٢].

ومن البدع الحسنة بناء عمر بن الخطاب c جدارا مدوراً محيطاً بالكعبة المشرفة، وقد كانت الكعبة قبلاً وفي زمن الرسول a مكشوفاً غير محوط بحائط، فكانت الدواب والحيوانات تمر بفناء الكعبة، فأمر الفاروق c ببناء جدار واسع حول الكعبة، فبعمل هذه البدعة الحسناء استراحت الكعبة المشرفة، وابتعدت من النجاسات، والغوغاء، وطهرت فنائها للطائفين، والمصلين، والعاكفين، فكل أعمال الفاروق كانت حسنة، ومنها هذه البدعة البديعة، فلهذا لم يعترض عليه أحد من الصحابة الكرام[٣].

ومن البدع المرضية إبداع الأذان الأول ظهر أيام الجمع، فأبدع هذا المبدع ختن المصطفى a عثمان بن عفان c أيام خلافته، فإن اذان ظهر الجمعة كغيره

---

(١) أخرج كل ذلك الإمام البخاري في الجامع الصحيح، رقم: ٢٠١٢ و ٢٠١٠.
(٢) مسلم: ٢١٥/١١ من شرح النووي، وأحمد: ١١٧/١٦ من الفتح الرباني.
(٣) ينظر أخبار مكة للأزرقي: ٦٩/٢، وشفاء الغرام للفاسي: ٢٢٤/١.

كان واحداً في زمن الرسول a ، فلما كان زمن خلافة عثمان c وتوسعت المدينة رأى الخليفة الحاجة ماسة إلى زيادة أذان، لأن الأذان المسنون كان ينادى به عند باب المسجد، فلا يسمعه إلاّ من كان قريباً من المسجد، لكن الأذان المبدع كان ينادى به على مرتفع يسمّى الزوراء، فيسمعه الكثيرون، وبقي الأذان الأول بحاله لتنبيه الحاضرين للتهيؤ لاستماع الخطبة، فنعم ما أبدعه هذا الخليفة الراشد، فعمل به من عصره وإلى عصرنا، وإلى قيام الساعة بتوفيق الله عزوجل، فعلم من النقول السابقة أن الخلفاء الراشدين أربعتهم لم يمتنعوا من إبداع البدع الخيرية، ولم ينظروا إلى أنها لم تكن في زمن الرسول a ، ومعلوم انهم كانوا عالمين بقول الرسول a : ((كل بدعة ضلالة))، لكنهم كانوا خبراء حاذقين بمحمل الحديث، والمراد منه، وسكوت الصحابة عن أعمالهم هذه دليل رضاهم، إذن فإن الإجماع متحقق على ما أبدعوه.

ومن البدع البديعة المستحدثة الخيرية بناء وخدمة المستشفيات، فعلى سبيل المثال قد قام أحد أثرياء مدينة أربيل المحروسة بتشييد مستشفى باسم (مستشفى نانه‌كه‌لى)، فهيأ فيها جميع المستلزمات الطبية اللازمة لعلاج المرضى بالامراض الخطيرة، مثل مرض السرطان، وما يشابهه مجانا، ولوجه الله تعالى، فيتوجه إلى هذه المستشفى المرضى بالامراض المذكورة في كل المحافظات العراقية، فلا ينهر أحد غنياً كان أو فقيراً، فيصرف في هذه المستشفى الشريفة يومياً مبالغ هائلة تفوق التصور، فهل هذا المشروع الشريف بدعة من البدع التي جزاء فاعلها النار، لأنه لم يؤسس مستشفى في زمن رسول الله a ؟ فلا يتفوه بهذا عاقل فضلاً عن عالم.

ومن البدع الحسنة بناء المدارس، وتصنيف الكتب الدينية النافعة للمسلمين، وفتح الدورات، والندوات العلمية الدينية، وبناء قبب المساجد، والجوامع، ونصب السماعات، وتبليط الشوارع، والطرق، وشد الجسور، وتأسيس المحطات الكهربائية.

ومن أمثلة البدع الحسنة تصنيع المصنوعات الحديثة، مثل: الطائرات، والسيارات، والقطارات، وتصنيع الأسلحة الحديثة، كالرادارات، والمدافع الثقيلة، والصواريخ، والقنابل الذرية، والدبابات العملاقة، وغيرها مما تسد به الثغور المسلمة، وتحافظ به دولة الإسلام من اعتداء المعتدين الظالمين الطامعين، فصرف الجهد والتعاون لتصنيع كل المذكورات وأمثالها فرض كفاية على جميع المسلمين، فالسعي لتحصيلها من العبادات المهمة، فإهمالها والتهاون بتصنيعها هو السبب في ضعف دولة الاسلام، وصيرورتها ألعوبة في أيدي الكفار الممتلكة لها كما ترى في عصرنا.

أيها المفكر الحكيم حسب رأيك السديد هل تستحسن أن نحاول الوصول إلى مراحل صنع ما ذكرت؟ أم هذه كلها من البدع المحرمة لأنها ما كانت موجودة في زمن الرسول الأكرم a ؟ فلنكتف الآن بالسيوف والرماح والعصى التي كان رسول الله a يستعملها في جهاده ودفاعاته، فهذا الاعتقاد بالإضافة إلى فساده بمكان عظيم من الجهل، فهذه الحاجيات الضروريات التي ذكرت كلها من البدع الواجبة، فجزاء القائم بها عند الله عظيم لمن أخلص فيها لله.

هذا: فقد ذكرنا سابقا أن أصل شرعية عمل المولد النبوي الشريف مأخوذة من السنة النبوية المطهرة، لكن الآن نقول: بل مأخوذة من الكتاب المجيد، فيقول عزوجل: ((يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم، وافعلوا الخير لعلكم تفعلون))[1].

أمر الله عزوجل في هذه الآية الكريمة المؤمنين بالمنصوصات التي ذكرت فيها، ثم قال سبحانه: ((وافعلوا الخير))، اي أفعلوا ما استحسنته عقولكم، ورأيتموها

(١) سورة الحج، آية ٧٧.

خيرا، ولما لم يبين عزوجل لنا نوع الخير الذي امرنا أن نفعله، فمعنى هذا أنه عزوجل خولنا الصلاحية لفعل كل ما أستحسناه، ورأينا فيه خيرا، قال العلامة أبو السعود في تفسيره: ((افعلوا الخير))، معناه تحروا ما هو خير، وأصلح في كل ما تأتون، وما تذرون[١]، وإن عمل المولد يدخل تحت عموم الخير الوارد في قوله تعالى: ((وافعلوا الخير)).

ومن المعلوم للمعارض والموافق أن عمل المولد الشريف في كل جوانبها المعتادة في عصرنا الحاضر خيور، ومصالح، فهو صدقات، وصلوات، وأذكار، وقراءات للقرآن الكريم، وللسيرة النبوية، والمدائح المصطفوية، فكيف يكون هذه ضلالة موجبة لعذاب القائم بها، فهل يليق بفضل وعدالة الباري عزوجل أن يعذبه على هذه المكرمات بدلا عن أن يجازيه بأحسن الجزاء كلا ثم كلا.

وإذ وعدنا سابقا بأن نثبت شرعية أصل عمل المولد النبوي الشريف باستنباطه من السنة النبوية المطهرة، فلنف بوعدنا، فنقول: أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي قتادة c أن أعرابيا قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال a : ((ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه))[٢].

وأخرج هذا الحديث أيضا الإمام أحمد في مسنده، يقول الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا في شرح مرتب المسند: والمعنى أنه a ولد في يوم الاثنين، وأنزل عليه القرآن في يوم الاثنين، ويومٌ هذا شأنه جدير بأن يجتهد فيه بالطاعة، وأن يقوم فيه الإنسان بشكر مولاه لما أولاه فيه من تمام النعمة بإيجاد النبي a ، وأنزل القرآن الكريم في هذا اليوم، فيصومه شكرا لله تعالى على هذه النعمة العظيمة[٣].

---

(١) تفسير العلامة أبي السعود الآمدي، ٢٦٧/٦، بهامش تفسير الإمام الرازي.

(٢) صحيح مسلم، ٥٢/٨ من شرح النووي.

(٣) بلوغ الأماني شرح مرتب مسند أحمد بن حنبل: ١٦١/١٠.

وتطرق الشيخ محمد بن الحاج الآلاني الكردي إلى هذا الاستنباط عينه في كتابه القيم رفع الخفا بشرح ذات الشفا قائلا: قلت وقد ظهر لي تخريج عمل المولد على أصل واضح في الدلالة على ذلك، وهو ما رواه مسلم أنه a سئل عن صوم يوم الاثنين فقال a : ((فيه ولدت وفيه أنزل عليّ النبوة))، فقد نص الصادق a على أن الاثنين يعظم بالصوم لكونه ولد a فيه، فيقاس بالصوم سائر العبادات من الصدقات وغيرها، وإذا كان مطلق الاثنين تعظم لمشاركتها في الاسم مع الاثنين الذي ولد a فيه وهو ثاني عشر ربيع الأول على الصحيح فكيف بنفس ذلك اليوم الذي ولد a فيه؟[١].

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس c قال: ((قدم النبي a المدينة، فرأي اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال a : ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني اسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال a : فأنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه))[٢]، قال الحافظ العسقلاني في فتح الباري: وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه a موافقتهم على السبب، وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى a [٣].

أخرج البخاري في صحيحه عن ابي موسى الأشعري c قال: ((كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا، قال النبي a فصوموه انتم))[٤].

قال الحافظ في فتح الباري ولا يلزم من تعظيمهم له، واعتقادهم بأنه عيد أنهم كانوا لا يصومونه، فلعله كان من جملة تعظيمهم في شرعهم أن يصوموه، وقد ورد

---

(١) رفع الخفا شرح ذات الشفا لابن الحاج: ١١٥/١.

(٢) الجامع الصحيح للإمام البخاري، رقم: ٢٠٠٤.

(٣) فتح الباري للحافظ العسقلاني: ٨٦/٩.

(٤) صحيح البخاري، رقم: ٢٠٠٥.

ذلك صريحا فيما أخرجه المصنف "والمراد به البخاري" في الهجرة بلفظ: ((وإذا أناس من اليهود يعظّمون عاشوراء، ويصومونه))[١].

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري c قال: ((كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء، ويتخذونه عيدا، ويلبسون نسائهم فيه حليهم وشارتهم، فقال رسول الله a : فصوموه أنتم))[٢].

يقول الحافظ العلامة جلال الدين السيوطي في كتابه الحاوي: وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبوالفضل أحمد بن حجر العسقلاني عن عمل المولد فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن، وضدها، فمَن تحرّى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة، وإلا فلا، ثم قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من: ((ان النبي a قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى، فنحن نصومه شكرا لله تعالى))[٣]، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود، والصيام، والصدقة، والتلاوة، وأي نعمة اعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم؟ وعلى هذا فينبغي ان يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى a في يوم عاشوراء، هذا ما يتعلق بأصل عمله، وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح

---

(١) فتح الباري للعسقلاني: ٩/ ٨٥.

(٢) صحيح مسلم: ٨/ ١٠ من شرح النووي.

(٣) سبق تخريجه.

النبوية، والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير، والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع، واللهو، وغير ذلك فينبغي ان يقال: ما كان في ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما أو مكروها فيمنع، انتهى[1].

فانظر أيها الكريم إن شيخ الإسلام في زمانه ،حافظ عصره وأوانه، أحمد بن حجر العسقلاني، صاحب فتح الباري، وغيره من المؤلفات القيمة، والخدمات القوية الواسعة للأحاديث النبوية الشريفة، وهو الذي اعترف بجلالة قدره، وعلمه، وورعه، واطلاعه الواسع جميع علماء الآفاق قد حكم على عمل المولد الشريف أولا : بأنه بدعة حسنة، وأخيرا بأنها مستنبطة، ومستخرجة من سنة نبوية ثابتة، علما بأنه من البعيد غاية البعد عن عقول العقلاء ان الشيخ العسقلاني مع سعة باعة، وإطلاعه الفائق على الأحاديث النبوية لم يكن مطلعا على حديث ((كل بدعة ضلالة)) الذي يحفظه الصبية في الكتاتيب المدرسية، أو كان مطلعا لكن لم يعرف المراد منه، فبقي الحديث الظاهر المعنى، مجهول المفهوم على العسقلاني، وغيره من العلماء الأعلام من أوائل تدوين الأحاديث، وشرحها الى أن ظهر بعض الغلاة، وهم قاموا بإيضاح معنى الحديث للمسلمين، فهذه الفكرة الباطلة لا يصدقها احد، بل ينسبها الى الكذب العمد كل أحد أميّا كان، أو عالما، أو متعلما.

هذا! ومما يستدل به لسنية أصل الاحتفال بمولد الرسول الأكرم a ما أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح من حديث طويل، وفيه: ثويبة مولاة لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي a ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة (اي سوء حال)، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق

(١) الحاوي للحافظ السيوطي: ١٩٦/١.

بعدكم (اي رخاء)، غير أني سقيت في هذه (إشارة إلى النقرة التي تحت الإبهام) بعتاقي ثوبيه[١].

يقول الحافظ العسقلاني: وذكر السهيل أن العباس قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة، إلاّ أن العذاب يخفف عني في كل يوم اثنين، قال: وذلك أن النبي a ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة بشّرت أبا لهب بمولده a ، فأعتقها[٢]، فهذا أبو لهب المشرك (تبت يداه)، فأعماله الكفرية من عداوته لله، ولرسوله، وللمسلمين، وسده الطرق لمنع الناس من الإيمان برسول الله a معلومة، لا تحتاج إلى تعدادها، فكفاه قبحا انزال سورة كاملة من القرآن المجيد في شناعته، وسوء فعل حمالته، ومع ذلك انتفع بصدقته بمناسبة ولادة الرسول الأكرم a ، إذن فما ظنك بصدقة المسلم المحب الموالى لله ولرسوله a بصرف أمواله في دعوة المسلمين الى ضيافته بهذه المناسبة الكريمة بالإضافة الى القربات التي تقوم بها جماعة الحضور في تلكم الضيافة الكريمة من قراءة القرآن المجيد، والصلوات على الرسول a وآله، وأصحابه الكرام، وإظهار السرور بولادة المصطفى a ، فعلى الأقل أن فيه القعود للذكر مع قوم يذكرون الله تعالى، ومن المعلوم لمن تتبع الأحاديث النبوية أن الاشتراك في مجالس الذكر مشروع، ومحبوب، ومستحسن، ومرغوب فيه بدليل كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة المرغبة في ذلك، منها ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري c انهما شهدا على النبي a انه قال: ((لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده))[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح، رقم: ٥١٠١.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني: ١٩/١٧٤.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ١٧/٢٢ من شرح النووي.

كما أن في أمثال ذلك المجلس يوجد "غير ما ذكر" كثير من الأعمال الخيرية، فعلى سبيل المثال في عام ١٤٣٤ هـ وزع واحد من أهل الخير القاعد في ذلك المجلس بهذه المناسبة الكريمة (٦٣) ورقة دولار كعدد سنوات عمر الحبيب الرسول الكريم a على أيتام المحلة، فهل يعتقد المسلم العاقل أن يكون أمثال هذه المكرمات الكريمة من البدع الضالة التي يكون مرتكبها في النار بدلا عما يأمل من مجازاته بخير جزاء، فهذا لا يليق بعدالة رب العالمين، فلو ظن ظان هذا الظن الفاسد فإنه من بعض الظن.

وقد نص على كثير من محاسن عمل المولد النبوي الشريف إمام القراء محمد بن محمد الجزري في كتابة المسمى بـ(عرف التعريف بالمولد الشريف) حسب ما نقله عنه الإمام السيوطي في الحاوي[١]، قال القسطلاني في المواهب اللدينية نقلا عن ابن الجزري في كتابه السابق أنه قال بعد ما سبق عنه: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ومما جرب من خواص عمل المولد أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام[٢] انتهى كلام ابن الجزري حسب ما نقله صاحب المواهب، ثم قال القسطلاني في مواهبه فرحم الله أمرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعي داء[٣].

ومما يبرهن به على شرعية عمل المولد النبوي الشريف هو: ((ان النبي a عق عن نفسه بعد النبوة))، أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط، وأخرجه أبو الشيخ من وجهين، ففي الوجه الأول يعتبر الحديث ضعيفا، لكن في الوجه الثاني أن

---

(١)الحاوي للإمام السيوطي: ١/١٩٦.

(٢) المواهب للقسطلاني: ١/١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

الحديث قوي الإسناد، ووثق رواة هذا الحديث الحافظ الترمذي، والعجلي، وغيرهما، واعتبر بهذا الحديث الحافظ الضياء، فأخرجه من الأحاديث المختارة[١]. يقول الشيخ ابن حجر الهيتمي في تخريج هذا الحديث: فقد رواه أحمد، والبزار، والطبراني من طرق، وقال الحافظ الهيثمي في أحدهما: إن رجاله رجال الصحيح إلا واحدا، وهو ثقة[٢].

والحاصل أن هذا الحديث روى في طرق عديدة، وأخرجه جماعة من المخرجين المعتمدين، فهو في بعض الطرق حكم بضعفه لضعف بعض رواته، لكن في بعضها حكم بعض المحدثين الأجلاء بأنه قوي، لأن جميع أفراد سلسلة رواته في ذلك الطريق موثوقون، بل في بعضها يقارب، ويكاد أن يكون صحيحا، قاله الحافظ في فتح الباري[٣].

قال الحافظ السيوطي: قلت وقد ظهر لي تخرجه (اي عمل المولد النبوي) من سنة نبوية، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس c : ((أن النبي a عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي a إظهار للشكر على ايجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان a يصلي على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالإجتماع، وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسرات[٤].

فترى أيها المنصف أن الحافظ السيوطي مع اطلاعه الواسع على الأحاديث النبوية فهو مؤلف كتب كثيرة من جوامع الأحاديث وغيرها، فمنها: الجامع الكبير،

---

(١) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ العسقلاني: ٣٠١/٢٠.
(٢) تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر الهيتمي: ٣٧١/٩.
(٣) ينظر، فتح الباري: ٣٠١/٢٠.
(٤) الحاوي للحافظ السيوطي: ١٦٦/١.

والجامع الصغير، وجامع المسانيد الذي هو بحر الأحاديث النبوية، فقد كان السيوطي بحق حافظا، علامة، متضلعا بجميع العلوم الدينية الجادة قد حكم باستحسان عمل المولد النبوي الشريف، بإحالته على سنة نبوية ثابتة، واستنباطه منها، فالحافظ السيوطي كان أعلم، وأورع، واحفظ بكثير من الذين يحكمون على عمل المولد بأنه بدعة بمعنى أنه ضلالة، وعمل قبيح لا يرضى به رب العالمين، فهذا الكلام لا يتفوه به عاقل فضلا عن عالم.

وإذ أثبتنا فيما مضى شرعية الاحتفال بمولد الرسول الأكرم a نرى من الجدير بالذكر أن نعرض أمام القراء الكرام آراء نخبة من العلماء الأجلاء المستحسنين لذلكم الاحتفال الشريف، فنقول من هؤلاء العلماء المذكورين الشيخ الحافظ إسماعيل بن كثير صاحب التفسير الشهير، فأبدى هذا العالم الجليل موافقته لاستحسان عمل المولد الشريف في كتابه التأريخي الشهير (البداية والنهاية)، حيث يترجم للسلطان المجاهد مظفر الدين ابن زين الدين سلطان مدينة أربيل وما حولها، حماها الله، فيمدحه بعمل المولد النبوي الشريف، وصرفه فيه مبالغ هائلة، ونص عبارته: الملك المظفر أبوسعيد كوكبوري أحد الأجواد، السادات الكبراء، والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شهماً، بطلاً، عاقلاً، عالماً، عادلاً، رحمه الله، وأكرم مثواه، وقد صنف الشيخ أبوالخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد السراج المنير)، وكان "أي المظفر" محمود السيرة والسريرة، ثم وصف ابن كثير الخدمات التي قام بها الملك المظفر في هذا الاحتفال العظيم، والمصاريف التي صرفها بما يحير العقول، ثم عدد أعماله، ومشاريعه الخيرية من بناء المساجد، وإجراء المياه، وإطعام الطعام، وفك الأسرى من سجون الكفار، والصدقات العظيمة على أهل الحرمين الشريفين، وقد أدرج الحافظ ابن كثير عمل المولد النبوي في عداد آثاره

الحسنة، وخيراته العظام، فمعنى هذا أن الحافظ ابن كثير بالرغم من أنه كان سلفي المذاق نوعاًما استحسن الاحتفال بمناسبة ولادة سيد المرسلين a ، فلهذا امتدح الملك المظفر بذلك، وأطنب في ذكر صدقاته، ومصاريفه في ذلك الاحتفال، فلو كان الاحتفال بالمولد الشريف بدعة ضلالة لعرفها هذا الفاضل الحافظ الجليل، ونقدها قبل ما تطعن فيها الغلاة الجهلة، علماً بأن الحافظ ابن كثير قد ألف كتاباً في حسن عمل المولد النبوي الشريف حسب ماعلمنا من الأجهزة الحديثة، وهذا القدر كاف من الحافظ ابن كثير لتأييد ما ذكرناه[١]

ومن المستحسنين لعمل المولد الشريف الشيخ الحافظ أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحراني الكردي، فشهرة جلالة فضله مغنية على التفاصيل عن حياته الشريفة علماً، وفضلاً، فيقول في كتابه الصراط المستقيم في موضوع شرعية عمل المولد النبوي الشريف: فتعظيم المولد، واتخاده موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لمن قصده، وتعظيمه لرسول الله a . ثم قال ابن تيمية في موضوع آخر: عمل المولد أن فعل مضاهاة لاعياد النصارى فهو مذموم، وأن فعل لمحبة رسول الله a فليس بمذموم[٢].

فهذا الشيخ الجليل ابن تيمية الحراني إمامكم، وقدوتكم، وهو كما ترون قد ذهب إلى مالا تشتهون، وكذلك الحافظ ابن كثير، إذن بقيتم فيما ذهبتم إليه ولاسلف لكم من العلماء المعتمدين، اللهم إلا أن يكون أسوتكم في ذلك من يطلع قرنه في نجدكم منشأ، ومحطة، ومخرج أفكاركم الباطلة الشاذة.

هذا: وممن استحسن عمل المولد النبوي الشريف من أفاضل العلماء أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحيه نسبة إلى الصحابي الجليل دحية بن خليفة، وهذا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/١٤٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الكردي: ٢/٦٢١.

هو الذي كان جبريل (عليه السلام) يأتي بالوحي أحياناً على صورته الجميلة، فترجم ابن خلكان في وفيات الأعيان لأبي الخطاب فقال في حقه: وكان أبو الخطاب من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، متفننا لعلم الحديث، وما يتعلق به، ثم بعد ما أطنب ابن خلكان في مدح أبي الخطاب قال: قدم أبو خطاب مدينة أربيل، فراي صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين مولعاً بعمل المولد النبي a عظيم الاحتفال به، فعمل أبو الخطاب له كتاباً سماه (التنوير في مولد السراج المنير)، وقرأ عليه بنفسه[١].

ومن المستحسنين لما ذكر الشيخ محمدامين الشهير بابن العابدين مفتي الشام المحروسة في شرحه على مولد ابن حجر، إذ قال فيه: اعلم أنه من البدع المحمودة عمل المولد الشريف في الشهر الذي ولد a فيه، فالاجتماع لسماع قصة صاحب المعجزات a من أعظم القربات[٢].

ومن أجلاء المستحسنين لعمل المولد النبوي الشريف قاضي قضاة المدينة المنورة، والديار المصرية الشيخ العلامة، والمحدث الكبير الفهامة عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازاني الشهير بالحافظ العراقي. قال الشوكاني في ترجمته: وهذا هو الذي قال في حقه العز بن الجماعة "وهو من شيوخه": كل من يدعى الحديث بالديار المصرية سواه فهو مدفوع[٣]، فإن هذا الفاضل الجليل قد ألف كتابا في استحسان عمل المولد النبوي الشريف وسماه (المورد الهني في المولد السني)، وقال فيه: إن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم الى

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٢١/٣ رقم الترجمة: ٤٦٩.
(٢) شرح مولد ابن حجر لابن عابدين: ٢٨.
(٣) البدر الطالع تأليف محمد بن علي الشوكاني: ٣٥٤/١.

ذلك الفرح، والسرور بظهور نور رسول الله a في هذا الشهر الشريف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها، فكم من بدعة مستحبة، بل قد تكون واجبة[١].

ومن المستحسنين ايضا الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ، فقد ألف هذا الفاضل الحافظ كتابا في محاسن الاحتفال بالمولد الشريف، وسماه (الباعث على انكار البدع والحوادث)، فهذا العالم الفاضل المحدث الكبير استاذ الإمام النووي، وغيره، من أفاضل العلماء، تراه في كتابه المذكور يمدح الاحتفال بالمولد الشريف مدحا عجيبا، ويمدح ايضا القائمين بالعمل المذكور كالسلطان مظفر الدين الأربلي، وغيره[٢].

ومن أفاضل العلماء الذين اختاروا شرعية، وحسن عمل المولد الشريف علي بن برهان الدين الحلبي، والشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، حيث قال الحلبي في سيرته الشهيرة (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون) نقلا عن الحافظ السخاوي أنه قال: لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار، والمدن يعملون المولد، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[٣]، علما أن الحافظ السخاوي قد ألف كتابا في محاسن عمل المولد النبوي الشريف، وسماه الفخر العلوى في المولد النبوي، ذكر ذلك اسماعيل پاشا الباباني[٤].

فانظر أيها الطالب بعين البصيرة من هو الحافظ السخاوي المستحسن لعمل المولد الشريف؟ فإنه ذلك الذي قال في حقه المؤرخون، ومنهم الشوكاني: انه تخرج

---

(١) المورد الهنى في المولد السنى للحافظ عبد الرحيم العراقي.

(٢) الباعث على الإنكار البدع والحوادث تأليف عبد الرحمن الشهير بأبي شامة: ٢١.

(٣) انسان العيون في سيرة الأمين المأمون لبرهان الدين الحلبي: ١/٨٠.

(٤) ينظر، هدية العارفين لإسماعيل پاشا الباباني: ٦/٢٢٠.

في الحديث، وأقبل على الشأن بكليته، وتدرب فيه، وسمع العالي، والنازل حتى برع في هذا الشأن، وفاق الأقران، وحفظ من الحديث ما صار به متفردا عن أهل عصره، وبعد وفاته مات فن الحديث ولم يخلف بعده مثله[١]، وعدد صاحب هدية العارفين مؤلفات العلامة السخاوي في الحديث ومتعلقاته بما يزيد عن اثنين وأربعين مؤلفا، ومنها: (جامع أمهات المسانيد)[٢].

فأناشدك أيها المنصف المعتدل هل من المعقول أن يخفى على أمثال هؤلاء الأجلاء قوله a : ((كل بدعة ضلالة))، حتى يؤلفوا الكتب بما يخالفه، فإن كل واحد منهم كان كأنه البحر المحيط بالأحاديث النبوية رواية، ودراية، وشرحا، وتعليقا، وتأويلا، وقوة، وضعفا، وغيرها، فضع التحكيم على ضميرك الواعي، واحكم بالحق، فالجواب طبعا كلا.

الى هنا قد بسطنا بساط النقل عن فحول العلماء المحدثين الأجلاء الأسلاف الأتقياء، فكلهم أوائلهم، وأواسطهم، وأواخرهم، ينادون بشرعية عمل المولد الشريف مستدلين بالدامغات من البراهين، والأدلة الواضحات، كما أطلعت على كل ذلك، فنرجو من الطاعنين في عمل المولد المذكور أن يقدموا على ما يدعون نقلا معتمدا عن أحد من السلف الصالح ينكر شرعية العمل المذكور مستدلا بدليل معقول مقبول مشروع، فلا أحد فيما أظن من السلف الصالح ذهب الى مثل ذلك باستثناء تاج الدين الفاكهاني أحد العلماء المالكية، وقد تكفل الحافظ السيوطي برده ردا ذريعا بأدلة مقنعة، كما يتبين بالمراجعة الى كتاب الحاوي للحافظ السيوطي[٣].

---

(١) لترجمة السخاوي يراجع البدر الطالع للشوكاني: ١٨٤/٢.

(٢) هدية العارفين لإسماعيل باشا الباباني: ٢٢٠/٦.

(٣) الحاوي للحافظ السيوطي: ١٩٠/١.

وأما من الخلف الطالح فقد ذهبت الغلاة الى أن الاحتفال المذكور شرك، وبدعة ضلالة، فيحرم إقامتها حتى تجاوز بعضهم في تشنيعه الى سوء الأدب مع المحتفلين، ولكن بعكس ذلك يعتبرون الاحتفال باليوم الوطني احتفالا مشروعا مستحسنا، فلا شركة، ولا بدعة، وكذلك الاحتفال بمناسبة ما يسمى بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإن هذين الاحتفالين السخيفين مشروعان مستحسنان لديهم، لكن الاحتفال بمولد الرسول الأكرم a ضلالة، فالسرور بالمولد الشريف لرضا رب العالمين، ولمحبة سيد المرسلين، وأما الاحتفالان المذكوران فلرضا مَن؟ ومحبة من؟ فعلى المعارض الجواب.

ولتأييد ما ذكر نقدم الى القراء الكرام ما يأتي: نشرت الجريدة الرسمية السعودية على ظهر احدى صفحاتها صورة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام السعودي، ونشرت بذيل صورته فتوى منه حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ونص تلك الفتوى هو ما يأتي: (اقامة المواليد الشركية لا أساس لها من الدين)، ثم نشرت الجريدة الرسمية السعودية (عكاظ) من الشيخ السابق نفسه حول الاحتفال باليوم الوطني انه قال فيه: (ينبغي أن يكون اليوم الوطني يوم شكر لله تعالى، ولا بد من السمع والطاعة لولاة الأمر)، وألصق صورته بأعلى مقالته كالسابق، فكأنه ليس هذا ببدعة، وله أساس قوي من الدين.

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن الفرق بين ما يسمى بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، حيث ينكر على من فعل الثاني دون الأول، فأجاب فضيلته بقوله: الفرق بينهما حسب علمنا أن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخذ تقربا الى الله عزوجل، وإنما يقصد منه ازالة شبهة في نفوس بعض الناس في هذا الرجل، ويبين ما منّ الله به على المسلمين على يد هذا الرجل[1].

(١) مجموعة فتاوى محمد بن صالح العثيمين: ١٩٤/١٦.

فانظر أيها الناظر الكريم بدقيق النظر الى هذا الفرق، فإن ملخصه: إن الاحتفال بمولد ابن الوهاب لإزالة شبهة المعارضين له، ولبيان ما منّ الله عزوجل به على المسلمين على يد هذا الرجل، فيفهم من هذا الفرق القبيح اننا لسنا بحاجة الى إزالة شُبه الملحدين في رسول الله a ، ولا نبالي بما منّ الله عزوجل به على الأمة الإسلامية على يد هذا الرجل المرسل من الله عزوجل الذي أنقذنا من ضلالة، وظلمة الكفر الى الهداية، والى الصراط المستقيم، والنور الإلهي المبين، والحاصل ان الفرق المذكور تهب منه رائحة الكفر "والعياذ بالله" ان دققت النظر فيه، كما ان فيه سوء الأدب بتقديم ذكر اسبوع ابن الوهاب على ذكر مولد الرسول الأكرم a في السؤال والجواب.

ثم أقول ليت شعري ما الذي من الله به على المسلمين على يد هذا الرجل، كما نشره العثيمين في فتاواه، فإن الذي اشتهر، وأثبته المؤرخون المعاصرون له من منجزات هذا الرجل هو كما يأتي: ثار، وصال هذا الرجل بجيش جرار بتأييد من بعض الطامعين الظالمين من الأمراء البدوية النجدية اولا على منطقتهم نجد الحجاز، ثم على المنطقة الحجازية، فأفتى هذا الرجل في تلك الصولة الظالمة باستحلال المحرمات، وانتهاك الحرمات حتى في الحرمين الشريفين الآمنين المقدسين لدى جميع الفرق الإسلامية مكة المكرمة، والمدينة المنورة بقتل، وأسر، وحبس الأبرياء، والهدم، والنهب حتى نهبوا النفائس المودعة في الحجرة النبوية الشريفة على صاحبها الصلوات والتحية، فلنمثل لذلك مثالا واحدا: فحينما هاجم جيش محمد علي پاشا على جيش الوهابيين في حربه معهم، وأسروا منهم عبدالله بن سعود أحد الأمراء البارزين الوهابيين، وأرادوا أن يرسلوه الى السلطان العثماني، فوجدوا بحوزته صندوقا، ففتحوه، فوجدوه مملوءاً بالدرر والنفائس، فسألوه ما هذا؟ فأجابهم هذا ما أخذه والدي من الحجرة، أصحبه معي الى السلطان، فقالوا له: إن الذي أخذتموه

من الحجرة النبوية كان أكثر من هذا، فقال: هذا الذي وجدته عند والدي، فإنه لم يستأصل جميع ما كان من الحجرة، بل أخذ الباقي غيره، علما بأن التخريبات بإفتاء هذا الرجل لم تقتصر على الحرمين فقط، بل فعل الأفاعيل الشنيعة بالمدن الأخرى كمدينة الطائف، ومدينة جدة، وكالمدن والأرياف النجدية حتى وصل جيشه الفتاك الى تخوم الشام، وأرياف واسط، والحيرة، وفعل فيها جيشه الشرس ما تمجه الأسماع، وقد نصره في تلك الشنائع بعض امراء المشرق الحجازي، وجعلوا نصره وسيلة لتقوية، وتوسعة ملكهم، وقد تحقق أمانيهم الى الآن، فيكون هذا الرجل قد باع دينه بدنيا غيره، كالطوسي مع الثاثار فما أجهله، والله سبحانه يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل.

ومن منجزات هذا الرجل الافتاء بهدم القبور وإهانتها حتى قبور بعض أصحاب الرسول a في البقيع، وفي غيرها، كقبر زيد بن الخطاب الذي استشهد في حروب الردة في منطقة نجد، فأمر هذا الرجل بهدم قبره الشريف، ومسح جميع مشاعره حتى لا يتمكن أحد من زيارته.

ومن منجزات هذا الرجل ايضا منع المسلمين من زيارة القبور التي ثبت بالأحاديث الصحيحة أن رسول الله a قام بها مرارا وتكرارا، ليلا ونهارا حتى كان هذا الرجل بحيث يكره زيارة التربة النبوية الشريفة على مضمومها ازكى الصلوات وأحرى التحيات، فإنه وأتباعه محرومون من شفاعة سيد الخلق عاملهم الله بعملهم.

ومن منجزات ذلك الرجل منع المسلمين من الجهر بالصلاة على رسول الله a التي امر الله عزوجل بها جميع المؤمنين في القرآن المجيد: ((يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما))، حتى ثبت ان هذا الرجل امر بقلع لسان مؤذن اعمى، ثم قتله على جرم انه صلى على رسول الله a جهرا بعد الأذان، وقد كان من هواية هذا الرجل تكفير أكثر أهل العقائد الصحيحة من اهل السنة والجماعة.

أيها القارئ الكريم ان هذه المذكورات من منجزات هذا الرجل كانت حبوبا من (خروار)، وان احببت التفاصيل عن احوال ذلك الرجل، وسيئات اتباعه فعليك بمراجعة كتاب الفتوحات الإسلامية تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة المكرمة الذي كان معاصرا لهذا الرجل، وخبيرا بمعاييبه[١].

وكذا غير الفتوحات من كتب التواريخ المعاصرة للحركة الوهابية الأولى، ككتاب نزهة الناظرين تاليف الشيح جعفر بن سيد اسماعيل البرزنجي مفتي المدينة المنورة في ذلك العصر[٢] فكلها مشحونة بمظالم هذا الرجل، وأتباعه، فإنه كان رأسا لإرهابي عصره، وأخيرا وليس آخرا أخاطبك أيها الشيخ العثيمين أما تستحيي من الله عزوجل ان تسمي هذه القبائح الصادرة من هذا الرجل بما من الله به على المسلمين، والحمد لله على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اغفر لنا ولهذا الرجل واجعله في حل من تلك المظالم العظام، وعوض للمظلومين من فضلك ياأرحم الراحمين، واغفر اللهم للشيخ العثيمين، وجميع الوهابيين، والق في قلوبهم التوبة الصادقة، ليرجعوا الى صفوف اهل الحق اهل السنة والجماعة التابعين للإسلاف المجتهدين الصالحين، واحشرنا جميعا تحت لواء سيد المرسلين امة واحدة، وفرقة واحدة جارية على ما ترضى به يا رب العالمين.

هذا، ومما له تعلق بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف ما يأتي: قال الله عزوجل في قرآنه المجيد: ((فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم))[٣]، يقول عزوجل في آية اخرى: ((الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم)[٤]، ثم يقول عزوجل:

---

(١) الفتوحات: ٢/٢٢٨.

(٢) نزهة الناظرين.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

((فاستجاب لهم ربهم)[١]، جرت عادة كثير من المسلمين قديما وحديثا في الأقطار الإسلامية المستمعين لمراسيم الاحتفال بالمولد الشريف حينما سمعوا البحث عن ولادة الرسول الأكرم a قاموا في المجلس جميعا تشريفا، وتكريما لنزول هذا الضيف العزيز المكرم، ويستمرون على القيام مصلين على رسول الله a عددا من الصلوات، ثم يدعون بالمأثورات من الأدعية الخيرية المختارة علما بأنه لا يرى فيما ذكر ما يخالف الشريعة المحمدية المطهرة، فإن الآيات الكريمات السابقة خيرتنا بين الأحوال الثلاثة المذكورة فيها، ومع ذلك ان القيام في هذه الحالة تكريم، واحترام، ومحبة للرسول الحبيب المصطفى a ، فلا ضرر ولا ضرار في ذلك، فإن الرسول الأكرم a كان يقوم لمن ينزل اليه من اعزة القوم، ومن المعلوم بالأحاديث الصحيحة أن رسول الله a حي في مرقده الشريف، فإذا سمعنا البحث عن إتيانه a الى الدنيا فاللائق بنا ان نقوم احتراما لهذا الضيف العزيز، (ولله العزة ولرسوله)، ويستأنس في الاستدلال على ما ذكر بأنه ثبت عن ابن عباس c أنه قال: إن رسول الله a قام عند نزول قوله تعالى: ((أتى أمر الله))[٢].

يقول الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي في سيرته الشهيرة بالسيرة الحلبية: (ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه a ان يقوموا على ارجلهم تعظيما له a ، وهذا القيام بدعة لا أصل لها، لكن هي بدعة حسنة، لأنه ليس كل بدعة مذمومة، وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب في اجتماع الناس لصلاة التراويح: ((نعمت البدعة هذه))، وقال العز بن عبد السلام: ان البدعة تعتريها الأحكام الخمسة، وقد قال امامنا الشافعي c : ما أحدث وخالف كتابا أو

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩٥.

(٢) ينظر تفسيرابن عباس، وتفسير إرشاد العقل السليم للعلامة أبي السعود العمادي، وتفسير لباب التأويل، وغيرها في أوائل سورة النحل.

سنة أو أجماعا أو أثرا فهو البدعة الضلالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة، وقد وجد القيام عند ذكر اسمه a من عالم الأمة، ومقتدي الأمة دينا وورعا الأمام تقي الدين السبكي، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره، فقد حكى بعضهم أن الإمام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره، فانشد منشد في مدحه a :

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط احسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي، وجميع من في المجلس، فحصل أنس كبير بذلك المجلس، ويكفي مثل ذلك في الإقتداء[١]، ويقول الشيخ الدمياطي في الإعانة: وقد بسط الكلام في ذلك رضا به، ومؤيداً له، "أي لإستحسان القيام المذكور" شيخ الإسلام المفتي ببلد الله الحرام مولانا الشيخ أحمد بن زيني دحلان في سيرته[٢]، فقد تبين لك أيها العزيز أعزك الله بأن القيام المذكور ليس فيه محذور شرعي، ولا مخالفة للطريقة المصطفوية المطهرة، بل فيه انقياد، وعبودية لما في الآيات الكريمات المذكورة، مع ما فيه من تعزيز، وتكريم، وتبجيل، وإحترام لسيد الكونين، ورسول الثقلين a ، لاسيما وقد أفتى بشرعيته جم من الفقهاء الكرام كما علمت، إذاً لا تسمع لمحروم ينهى عنه من المخالفين المعاصرين، فإن شيمتهم مخالفة السواد الأعظم من الأمة الإسلامية فجعلوها غيارا لهم، ((ومن شذ شذ إلى النار)).

ومن هنا نود أن نشير إلى أن إنشاد الأشعار الدينية في المساجد والمحاضر من السنن الثابتة بالأدلة القوية الواضحة، منها على سبيل المثال: ما أخرجه الشيخان

---

(١) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية: ١/٨٠.
(٢) إعانة الطالبين للشيخ إبي بكر الدمياطي: ٣/٣٦٥.

"البخاري ومسلم" واللفظ له، في صحيحيهما بسندهما عن أبي هريرة c أنه قال: ((إن عمر بن الخطاب c مرّ بحسّان بن ثابت الأنصاري، وهو ينشد الشعر بالمسجد، فلحظ عمر إليه، فقال حسّان: قد كنت أنشد وفيه خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشُدُكَ اللهَ، أَسمعتَ رسول الله a يقول: أجب عنّي، اللهم أيّده بروح القدس،، قال: اللهم نعم))[1]، قال الإمام النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث جواز إنشاد الشعر في المسجد إذا كان مباحاً، واستحبابه إذا كان في ممادح الاسلام وأهله، وهكذا كان شعر حسّان، وفيه استحباب الدعاء لمن قال شعراً من هذا النوع[2].

كما ان في قوله : ((أجب عنّي)) أي: إدفع عني، دلالة واضحة على أن ما يجهر به في المواليد من ذكر شمائل المصطفى a وذكر خلقه العظيم والدفاع عمّا افترى عليه المنافقون والمشركون الأنجاس نظماً، وسجعاً، ونثراً، في المساجد والمحاضر مأذون فيه، بل مأمور به من قبل رسول الله a ، فهو أيضاً من السنن الثابتة التي لا مناقشة فيها إن لم يكن واجباً في بعض الأحيان، فلا شرك ولا بدعة.

ومنها ما أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة من أن كعب بن زهير بن أبي سلمى كان مشركاً وشاعراً هجاءاً، وقد كان يهجو بشعره رسول الله a وأصحابه، فهدر رسول الله a دمه قائلاً: ((من لقي كعباً فليقتله))، فلما بلغ ذلك كعبا قيل له: إن النبي a أوعدك إن لم تعالج نفسك قتلت، فضاقت بكعب الأرض، وأشفق على نفسه، فتوجه إلى المدينة المنورة، فسأل عن أرق أصحاب رسول الله a قلباً، فدُلّ على أبي بكر، فاتصل به، فأخبره خبره، فمشى أبوبكر وكعب على أثره وقد التثم حتى صار بين يدي النبي a ، فقال كعب

(١) البخاري: ٣٠/١٣ من الفتح، رقم: ٣٢١٢، ومسلم: ٤٥/١٦ من شرح النووي.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ٤٥/١٦.

لرسول الله a : رجل يبايعك، فمد النبي a يده، فمد كعب يده فبايعه، وأسفر "أي: كشف" عن وجهه، فعفا عنه رسول الله a ، فأنشد كعب في هذا المجلس المبارك قصيدته الطويلة الشهيرة التي يقول فيها:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
إن رسول الله لسيف استضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فأشار رسول الله a إلى من معه أن اسمعوا حتى أنشد القصيدة بكمالها ورسول الله a وأصحابه يسمعونها، ثم بعد الانتهاء منها أكرمه رسول الله a بأن كساه بردته التي كان a يلبسها، فبقيت البردة عند كعب حتى مات، ثم اشتراها معاوية من ورثته، فهي التي كان يلبسها الخلفاء في الأعياد[1].

في هذه الحادثة الشريفة إن كعباً أنشد القصيدة في مدح رسول الله المصطفى a في المسجد النبوي، وجهر بقرائتها بحضرة رسول الله a وأصحابه الكرام، ولم ينكر عليه رسول الله a ولا أصحابه، بل بعكس ذلك، أصغى إليه رسول الله a والحاضرون، وكافئه رسول الله a ، فأجازه ببردته المباركة، فلذا سميت القصيدة بالبردية، إذن فما بقي لك الآن أيها الأخ إلاّ أن تقول: إن ما يفعل في المواليد من إنشاد المدائح النبوية، والتغني بها في المساجد والجوامع والمحاضر من السنن المأثورة عن صاحب الرسالة العظمى، فإنكارها، والطعن فيها من البدع القبيحة، أعاذنا الله منها.

وإذ أثبتنا شرعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وشرعية الجهر والتغني بالمدائح النبوية في المساجد والمحاضر نود أن نذيله بالبحث، والدفاع عن أبيات

(١) ينظر الإصابة للحافظ العسقلاني: ١٦٨٨/٣، رقم الترجمة: ٧٤١٢، وأخرج هذه القصة أيضا ابن هشام في سيرته: ١٣٠/٢، وابن عبد البر في الاستيعاب: ٢٩٧/٣ بهامش الاصابة، وابن الأثير في أسد الغابة: ٤١٤/٤، رقم الترجمة: ٤٤٦٤، وغيرهم.

أنشأها أعلم الشعراء، وأشعرالعلماء محمد بن سعيد البوصيري (ت ٦٩٤ هـ) في قصيدته الشهيرة (البردة)، فتشبث بعض المبتدعة بنقدها إلى نقد جميع ما في القصيدة من المدائح النبوية، وبالتالي إلى نقد الاحتفال التي تتغنى فيه بأبيات هذه القصيدة التي مضى على التبرك بالتغني بها في أمثال هذه الاحتفالات أكثر من سبعة قرون، واستمع إليها الآلاف المؤلفة من العلماء الصلحاء الخبراء بالدين بدون أبداء أي عيب فيها، فلم يتجنب من الاستماع إليها إلا المبتدعون الغلاة في العصور المتأخرة، فنقول وعلى الله الكريم التوكل، ومنه التوفيق: إن واحداً من تلك الأبيات التي ذكرناها البيت التالي:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا البيت من أخضع بيوت القصيدة لنقد الناقدين، فيلوك بالطعن فيه اللائكون كثيراً، اذ يفهم منه ذوو الأفهام الساذجة معنى يحرم نسبته إلى رسول الله a ، فحداني هذا إلى أن أحقق في معنى البيت، وأشرحه شرحاً يزيل أوهام المتوهمين الذين لم يحوموا حول المعنى المراد من البيت، وحملوه على معنى غير مقصود للناظم الأديب، ثم اعترضوا عليه، وعلى من يتغني به بأنه نوع من الشرك، فأقول في الجواب:

أولاً: إن هذا البيت ليس له أية علاقة ببدعية الاحتفال المذكور، أو سنيته، وثانياً أن منشد البيت كان شاعراً مداحاً، والمداحون من الشعراء معفوون، لايؤاخذون بالمبالغات في المدائح، كما هي الواقع في أشعار الكعب، والحسان، وابن رواحة، وغيرهم من شعراء رسول الله a ، ومداحيه، ثم مع ذلك نقول في التوجيه: أن معنى الشطر الأول من البيت المذكور هو أن حصول خيري الدنيا والآخرة من جود رسول الله a ، ففي الدنيا ببركة نبوته ورسالته، وفي الآخرة

بشفاعته العظمى كذا في شرح الخربوتي[١]، ((وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين))، فرسول الله a رحمة الأمة في الدنيا والآخرة، فسعادة الدنيا والآخرة بإتباعه a ، قال الشيخ ابن حجر (فإن من جودك الدنيا وضرتها) أي: خيرهما، فمن خير الدنيا هدايته a للناس، ومن خير الآخرة شفاعته a فيهم مما يقع فيها من الأهوال وغيرها[٢]، وذهب إلى هذا المعنى صاحب النفحات، وزاد قوله: وهذا (أي قوله فإن من جودك) تعليل للبيت السابق المشتمل على طلب الشفاعة من رسول الله a [٣].

والحاصل أن رسول الله a بهدايته لأمته بتبليغهم الكتاب، والسنة، والشرائع بأقواله، وأفعاله، وتقاريره، وشمائله، وجهاداته يعتبر متكرماً جواداً بذلكم كلها، والمنافع الحقيقة في الدنيا هي سلوك الصراط المستقيم الذي بعث به المصطفى a ، وبينه لأمته، وأما في الآخرة فالمنفعة العظمي للأمة هي الشفاعة العظمى التي خول بها رسول الله a من قبل الباري عزوجل، كما ثبت بأحاديث متعددة صحيحة مخرجة في أمهات الصحاح، فصح إذاً إن من جود رسول الله a منافع الدنيا والآخرة.

هذا معنى الشطر الأول من البيت المذكور، وليس المراد منه ما توهمه بعض اللائكين بالنقد من أن معناه أن خلق الدنيا وخلق الاخرة من جود رسول الله a ، ولو كان لهذا المعنى أيضاً تأويلات صحيحة كما يأتي، فليس المراد منه المعنى الظاهري الذي يعتبره الناقدون جهلاً، فإن الأديب البوصري (رحمه الله) كان موحداً عالماً حاذقاً سابحاً في بحار علوم الكتاب، والسنة النبوية المطهرة، كما يتضح كل ذلك في قصيدته البليغة المنتشرة في الآفاق المسلمة منذ قرون عدة، فكيف يخفى

(١) عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة للشيخ عمر أحمد الخربوتي: ٢١٩.
(٢) ألعمدة بشرح البردة للشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي: ٦٦٥.
(٣) يراجع النفحات شرح قصيدة البردة للعدوي: ٢٠٢.

عليه ما ينقده به من ليس له المام بالعلوم الشرعية، بل من ليس له مقدرة فهم معنى أبيات القصيدة التي منها هذا البيت فهما صائباً، هذا ما يتعلق بالشطر الأول من البيت، وأما معنى الشطر الثاني من البيت المذكور فنقول فيه: أن الله عزوجل علم رسوله a علوماً شتى غيبياً وظاهرياً، جزئياً وكلياً، فعلومه a يفوق علوم جميع بنى البشر، قال الله تعالى: ((وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم))[١]، يقول المجتهد الكبير ابن جرير الطبري في تفسيره الشهير: أي علمك مالم تكن تعلم من خبر الأولين والآخرين، وما كان، وماهو كائن[٢].

يقول الشيخ برهان الدين الحلبي في سيرته الشهيرة قال a : ((وسألني ربي، فلم أستطع أن أجيبه عزوجل، فوضع يده عزوجل بين كتفي)) بلا تكييف ولا تحديد، أي: يد قدرته تعالى، لأنه سبحانه منزه عن الجارحة، ((فوجدت بردها، فأورثني علم الأولين والآخرين، وعلمني علوماً شتى، فعلم أخذ عليّ كتمانه لا يقدر حمله غيري، وعلم خيّرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي))[٣].

وأخرج العلامة القسطلاني في المواهب حديث ((وسألني ربي)) بأبسط مما أخرجه الحلبي نقلاً عن رواية ابن عباس عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)[٤]، ومن جهة أخرى، ثبت أن رسول الله a عرج ليلة المعراج إلى معرج لم تصل إليها الملائكة حتى المقربون منهم، بل وحتى جبريل (عليه السلام) لم يتجاوز

---

(١) سورة النساء رقم الآية ١١٢.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري: ٧٧٧/٥.

(٣) انسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي: ٣٨٣/١.

(٤) المواهب للقسطلاني: ٢٩/٢ من شرح الزرقاني.

السدرة المنتهى التي ينتهي إليها علم الملائكة، كما في الشفاء للقاضي عياض[١].

قال في لباب التأويل عند ذكر سدرة المنتهى، قال ابن عباس وغيره من المفسرين: سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يتجاوزها أحد غير رسول الله a [٢]، فهذا يدل على أن الرسول الأكرم a اطلع على ما لم يطلع عليه كرام الكاتبين الذين يكتبون بالأقلام على اللوح، ومن المعلوم انهم مطلعون على جميع ما في اللوح، لأنهم هم الكاتبون المستنسخون على اللوح، فبصدد ما ذكر يقول الشيخ ابن حجر الهيتمي: ووجه كون علم اللوح والقلم من بعض علومه a ان الله تعالى اطلعه ليلة الإسراء على جميع ما في اللوح المحفوظ، وزاده علوما أخر كالأسرار المتعلقة بذاته سبحانه وتعالى وصفاته[٣].

يقول القاضي عياض في كتابه (الشفاء)، وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه a في قوله تعالى: ((ثم دنى فتدلى))، قال a : ((فارقني جبريل، فانقطعت الأصوات عني، فسمعت كلام ربي، وهو يقول: ليهدأ روعك يا محمد، أدن، أدن))، وحديث أنس نحو منه[٤]، فهذا الحديث الشريف يدل على أن المصطفى a قد جاوز السدرة المنتهى ليلة المعراج، بمعنى أنه a قد جاوز علم الملائكة جميعهم، ومنهم الكرام الكاتبون، علما بأن الحديث أخرجه صاحب الشفاء المشتهر بأنه التزم في كتابه الشفاء الاستدلال بالأحاديث القوية، وتجنب الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

---

(١) الشفاء للقاضي عياض مع شرح الخفاجي: ١/١١٣.

(٢) لباب التأويل لعلي بن محمد البغدادي المتوفى ٦٤١هـ.

(٣) العمدة شرح البردة لابن الحجر الهيتمي: ٦٦٩.

(٤) الشفاء للقاضي عياض شرح الخفاجي: ١/١٢٤.

هذا! ومن زيادات علمه a على العلم الكائن في اللوح انه a رأى ربه عزوجل ليلة الإسراء، كما ثبت ذلك بأحاديث صحيحة، أخرج ابن الجرير الطبري بسنده عن ابن عباس c أنه قال: ((ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمد بالرؤية))[١].

أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس c في قوله تعالى: ((وما جعلنا الرؤيا لتي أريناك إلا فتنة للناس))، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله a ليلة أسرى به الى بيت المقدس[٢].

أخرج البخاري حديث المعراج بسنده عن أنس والحديث طويل وفيه: ((ثم عرج بي حتى ظهرت أي ارتفعت لمستوى "أي الى مصعد" أسمع فيه صرير الأقلام))[٣]، أي صوت الأقلام بالكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من القضايا الإلهية الكونية، قاله الحافظ العسقلاني في فتح الباري[٤]، فالمراد من اللوح والقلم في نظم البوصيري لوح هؤلاء الملائكة، وقلمهم لا اللوح المحفوظ.

يقول الحافظ القسطلاني في المواهب: وظاهر الأخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته، وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والأرض، وإنما هذه الكتابة في مصحف الملائكة كالفروع المستنسخة من الأصل، وفيها الإثبات والمحو، ذكره ابن دحية وتبعه ابن المنير[٥].

---

(١) جامع البيان لابن الجرير الطبري: ٢٩/٢٧.
(٢) الجامع الصحيح للإمام البخاري برقم ٣٨٨٨.
(٣) الجامع الصحيح للإمام البخاري برقم ٣٤٩.
(٤) فتح الباري للحافظ العسقلاني، ٨/٣.
(٥) المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني، ٨٩/٦.

أيها القارئ العزيز قد أحطت علما بأن علم رسول الله a يفوق على علم ما في اللوح بهذا المعنى، فليحمل البيت المذكور على هذا المعنى، لأنه هو مراد الناظم رحمه الله فإذا أعل صوتك، وحسن، وترنم بنغمة:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ليطرق أسماع المعاندين المنكرين الجهلة، وليعلم أن حاجتنا الى مثل هذه التوجيهات إذا كان المراد باللوح والقلم من نظم البوصيري اللوح والقلم السماويان، وأما إن كان المراد باللوح كل ما يكتب عليه من الصفائح كما يساعده اللغة، وبالقلم الأقلام الإعتيادية كما هو الظاهر، فمعنى البيت المذكور أن كل ما يكتبه الكاتبون على الألواح من أمور الدنيا والآخرة هو جزء من علوم رسول الله a ، بمعنى أن معلوماته a اوسع من معلومات جميع الناس، لأنه a كان عالما بعالم الملك، وعالم الملكوت، وبما كان، وبما هو كائن، كما سبق، وكل ذلك بفضل الله سبحانه عليه a ، ليكون ذلك من أحدى معجزاته العظام اللواتي ترغم الناس قسرا الى الإيمان بالله، وبنبوة رسوله a ، فهو رحمة للعالمين، فصلى الله عليه وعلى أتباعه، فبهذا التوجيه الوجيه لا يبقى غبار على البيت لدى النبيه، ولا يحتاج الى تكلف التأويلات، وليس ببعيد أن يكون هذا المعنى هو مراد الناظم الأديب.

كما يحتمل أن يكون المراد بعلم اللوح والقلم العلم ببعض المغيبات التي لم يطلع عليها أحد غير الله سبحانه، فمعنى البيت على هذا أن بعض علومك يا رسول الله a هو العلم ببعض المغيبات المأخوذ من العلم الكائن في اللوح المحفوظ، والقلم المكتوب به عليه، ومن المعلوم الضروري أن الله جل وعلا أعلم حبيبه المصطفى a بعض المغيبات معجزة له c ، ولا شك في ذلك، ولا تجشم للتأويلات فيه أيضا، فلله در الأديب البوصيري، ما أبلغ قصيدته، فإنها بحر المعاني، فللناظر الدقيق أن يغترف بمغرفة واحدة دلاء عديدة.

وأيضا يجري جريا متلاطم الأمواج على ألسنة الناقدين للمدائح النبوية الشريفة، اعتراضهم على البيت الذي أنشأه الأديب البوصيري في قصيدته الشهيرة (البردة) وهو البيت الآتي نصه:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

بحجة أن في هذا البيت الإستغاثة برسول الله، والإستغاثة بغير الله شرك، فهذا القياس المنطقي بصغراه، وبكبراه ينتج نتيجة فاسدة وهي ان في هذا البيت شرك بالله عزوجل، فعند تدقيق النظر يتبين أن ترتيب هذا القياس الفاسد أتى الى دماغ الناقد من سوء فهم معنى البيت، فلنشرح البيت شرحا موضحا حتى يفهم محتواه الناقد، وغيره من الطالبين.

فنقول وبالله التوفيق: ان الأديب الماهر في الفنون البلاغية، والراجي شفاعة رسول الله a ينادي رسول الله a نداء المستشفع الى الوسيط الفريد، لا نداء المستغيث الى المستغاث الوحيد، قائلا يا أكرم مخلوق الله، ويا رسول الله لا أرى، ولا يوجد من أتشبث به، والتجئ اليه شفيعا، وملاذا لي يوم القيامة العظمى غير ذاتك الوحيد، فنأمل أن تكون شفيعا لي في ذلكم اليوم العصيب، فصيغة (من) في البيت المذكور عام في المخلوق، ولا تشمل الخالق سبحانه، ألا ترى الى قوله: (يا أكرم الخلق)، فالنفي بـ(ما) متوجه الى المخلوق فقط، ومعلوم بنص الأحاديث الصحيحة أن الشفاعة العظمى يوم الحساب الأكبر مقصورة على رسول الله محمد المصطفى a ، فهو المخول بها من الله عزوجل حينما يأبى، ويبتعد عن حملها أجل أجلاء المرسلين a ، فيخول بها رسول الله المصطفى a حينما يسألها ساجدا من

الباري عزوجل، فينادى من قبل الرحمن عزوجل: ارفع رأسك، قل تسمع، وسل تعطه، اشفع تشفع، الى آخر الحديث[١].

ومما يلوك به الناقدون كلمة (ألوذ) في البيت بحجة أن هذه الكلمة لا تستعمل الا لله عزوجل، فنقول لهم في الجواب: كلا أن هذه الكلمة استعملت لغير الله في الشرع الشريف، قال الله عزوجل في القرآن المجيد: ((قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا))[٢].

قال ابن جرير الطبري واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا، وهذا بهذا[٣]، فترى سبحانه نسب اللواذ "وهو مصدر لاذ" الى المتسللين، وهم أناس معنيون بالآية الكريمة، وعن مقداد بن الأسود الكندي البدري انه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلا فقاتلني ثم لاذ بشجرة، الى آخر الحديث[٤]، فترى المقداد c استعمل لاذ للشجرة التي لا تعقل بحضرة المصطفى a ولم ينكر عليه فصار استعمال هذه اللفظة لمعنى الالتجاء الى العاقل وغيره سنة نبوية فضلا عن أن يكون حراما كما تفوه به الناقد قال ابن منظور لاذ القوم ملاوذة ولواذا أي لاذ بعضهم ببعض ومنه قوله تعالى: ((يتسللون منكم لواذا))، والملاذ: الحصن[٥].

فتلخص مما ذكر أن الله سبحانه استعمل مرادف الالتجاء بصيغة المصدر (اللواذ)، واستعمل صاحب رسول الله a بحضرته a بصيغة الماضي (لاذ) بلا

---

(١) أخرجه مسلم: ٥٨/٣، من شرح النووي بطرق عديده، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١٢١/٢٤ من ترتيب المسند.

(٢) سورة النور آية ٢٢.

(٣) تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري، ١٣٤/١٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ٢٠١٩ و ٦٨٦٥، وأبو داود في سننه، رقم: ٢٦٤٤.

(٥) لسان العرب لابن منظور: ٢٥٢/١٣.

إنكار منه a ، واستعمله أئمة اللغة بصيغ مختلفة لأناس عاديين، ويستعمله أيضا أهل العرف العام، يقال: لاذ فلان بالفرار، المكان الفلاني ملاذ آمن، الى غير ذلك، فمن أين فهمت أيها الناقد حرمة استعمال كلمة لاذ لغير الله سبحانه؟ فلعلك اختلقته من قبل نفسك ترويجا لمذهبك الشاذ، ولو كان خلاف ما عليه الشريعة المطهرة، والعادات المتبعة، وأخيرا نرجو ملاحظة ما يأتي إن بيت البوصيري (يا أكرم الخلق) مخاطبا للرسول الأكرم a في رجاء الشفاعة من رسول الله a وحده، ونفيها عن غيره في يوم الحساب العام يشبه البيت الذي أنشأه في هذا المرجو عينه، وبهذا الأسلوب الرقيق الصحابي الجليل (سواد بن قارب الدوسي) بمحضر من الرسول الأعظم a وهو البيت التالي:

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

وهذا بيت من آخر قصيدة طويلة أنشدها الأديب المذكور بمواجهة رسول الله a حينما أتى اليه مسلما ليأخذ البيعة، ذكر ذلك ابن عبد البر، وذكرها الحافظ العسقلاني في فتح الباري، والإصابة، وأصل قصة سواد بن قارب أخرجها الأمام البخاري في الجامع الصحيح[1].

فقد أطلعت أيها الناقد أن الأديب البوصيري قد أقتبس بيته هذا من البيت الذي أنشد في مجلس رسول الله a ، وبحضرته، بل بمخاطبته، ولم ينكر a على المنشد، فإذا إن إنكار الترنم والتغني بهذا البيت وأمثاله في هذا المعنى معارضة، ومخالفة، ونقد للسنة النبوية المطهرة، فضلا عن أن يكون أمرا بالمعروف كما يدعى ذلك الناقد المعترض على المحاسن الشرعية.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، رقم: ٣٨٦٦، الإستعاب لابن عبد البر: ٢/٢٤، بهامش الأصابة، فتح الباري: ١٥/٢٤، الأصابة، رقم: ٣٥٨.

هذا ومن أبيات الأديب البوصيري التي اعترتها مصيبة النقد بالإفتراآت الباطلة من النقاد الذين أرصدوا أنفسهم ليأخذوا فرصة لتجريح الأسلاف الصالحين أصحاب العقائد الصحيحة والمذاهب الصائبة البيت التالي:

وكيف تدعوا الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ومعنى البيت كيف يميل رسول الله a الى زخارف الدنيا، وزينتها، كلا، لا يميل حتى ولو كان في ضرورة المعيشة، فلو لا كان في ارادة الله عزوجل أن يخلق محمدا رسول الله a خاتم للأنبياء ما كان عزوجل يخلق الدنيا وما فيها، وذات كان بهذه المنزلة العالية، وبهذا القدر العظيم عند الله سبحانه كيف يميل الى الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله سبحانه جناح بعوضة؟ فاعترض على هذا بعض النقاد بأنه سبحانه خلق الكون بإرادته وحده عزوجل، فلم يخلقه لأجل أحد من خلقه، ولم يكن أحد موجودا حينما خلقه، فكيف يصح أن يقال: خلق الله الدنيا لأجل رسول الله a .

الجواب عن ذلك بوجهين، الوجه ألاول: أن قوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم، ليس المراد به حقيقة خلق الدنيا لأجله a ، بل هو كناية عن علو مرتبة الرسول المصطفى a ، وعظيم قدره، ومنزلته عند ربه عزوجل بحيث كأنه سبحانه خلق الدنيا ليخلق في آخرها رسوله المجتبى، وحبيبه المصطفى، ففيه المبالغة في المديح، وهي مغتفرة من الشعراء والأدباء والمداحين، كما علمت سابقا.

وأما الوجه الثاني من الجواب فهو ما اختاره العلامة الفقيه الشهير أحمد بن حجر الهيتمي حيث قال في شرح قول الناظم (لولاه لم تخرج الدنيا من العدم): وهذا مأخوذ من حديث: ((لما اقترف آدم الخطيئة، وكان قد رأى على قائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، سأل بحق سيدنا محمد a أن يغفر له، فقال

سبحانه وتعالى: اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك[١]، وآدم أبو البشر، خلق الله عزوجل له ولذريته الأرض وما فيها، وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر وغيرها[٢]، ((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا))[٣]، (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار))[٤]، الى غير ذلك من الآيات البينات، فصح إذا أن الأرض وما فيها جميعا، والشمس والقمر والليل والنهار خلقت كلها لأجل رسول الله a ، وهذه الكائنات المذكورة هي المرادة من الدنيا في البيت، إذ الدنيا عبارة عن الدار التي هي محل الحياة الأولى، ومشتملاتها، كما أن الدار القصوى هي دار الحياة الأبدية، رزقنا الله فيه رضاه، فعلى هذين الوجهين صح: (لولاه لم تخرج الدنيا من العدم)، فترنم، وتغن، وحسن صوتك، وطول نفسك به أيها الحادي الحبيب.

هذا! ومن الأبيات المخدوشة بسهام الرماة الذين لم يشموا عابقة الرسالة النبوية كما هو الحق والواقع البيت البردي التالي:

أقسمت بالقمر المنشق ان له من قلبه نسبة مبرورة القسم

فمعنى البيت على بعض الاحتمالات المتبادرة أحلف بقرص القمر الذي أنشق فلقتين معجزة للرسول الأعظم a ان بالقمر نسبة، ومشابهة بقلب رسول الله a الذي شق مرارا لحكم إلهية، وهذه المناسبة والمشابهة مصدوقة بالقسم، بمعنى انه ان

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الدلائل، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل. فكلهم بسندهم عن عمر بن الخطاب c ، ينظر كنز العمال للهندي، رقم الحديث: ٣٢١٣٨.

(٢) العمدة شرح البردة لابن الحجر الهيتمي ٢١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة ابراهيم، الآية: ٣٣.

أقسم المقسم قسما حقيقيا على ثبوت هذه المشابهة كان بارا في قسمه، ووجه الشبه بين القمر المنشق، وبين القلب النبوي المبارك انهما انشقا بلا ضرر، والتأما بلا أثر، وامتلئا بالنور الالهي، وأنهما معجزتان عظيمتان من عظائم معجزات المصطفى a ، هذا ما يتعلق بمفهوم البيت اختصارا، فطعن الرقباء المترصدون في مكمن المطاعن للنقود الباطلة هذا البيت بأن فيه القسم بغير الله سبحانه، وهذا منهى عنه بأحاديث صحيحة منها قوله a : ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك))[١].

فالجواب عن هذا النقد من وجوه: أما أولا فبأن يقال في العبارة حذف مضاف، أي أقسمت برب القمر، أو خالقه، أو منوره، أو شاقه، أو غير ذلك مما يصح تقديره كما قدر أمثال هذه المضافات أكثر المفسرين في أمثال قوله تعالى: ((والشمس))، ((والضحى))، ((والليل))، وغير ذلك في أمثلة اقتضاء النص كما يقول الأصوليون، وذهب الى هذا التوجيه الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي في العمدة، واستحسنه[٢].

وأما ثانيا فبأن يقال أن هذا القول وأن كان في صورة القسم الا أنه من لغوه، وليس من مكسوب القلب، فيشمله قوله تعالى: ((لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم))[٣]، فإن العرب إذا أرادوا تأكيد مضمون الكلام يذكرونه في صورة القسم لأنه أقوى من سائر المؤكدات، ولا يريدون القسم الحقيقي التعظيمي، بل ربما يتفوهون بأمثال هذه الأقسام غفلة، ولا يشعرون بها، وكذلكم شعبنا الكرد في محاوراتهم الإعتيادية ولا بأس بأمثال هذه

---

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه: ٢/٣٧١، رقم: ١٥٣٩، بسنده عن ابن عمر.

(٢) (العمدة) بشرح البردة للشيخ أحمد ابن حجر الهيتمي: ٣٨٧.

(٣) سورة البقرة رقم الآية: ٢٢٥.

الأقسام شرعا، اذ ثبت صدور مثل هذا النوع من القسم الصوري عن رسول الله المصطفى a مرارا وتكرارا، وكذلك عن بعض أصحابه الكرام.

أخرج الأمام مسلم في صحيحه، والإمام أبو داود في سننه، واللفظ له بسندهما عن الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله في قصة أعرابي يسأل رسول الله a ، قال الأعرابي بعد أسئلة: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله a : ((أفلح وأبيه إن صدق، دخل الجنة وأبيه إن صدق))، فلولا أن الأقسام الصورية في أمثال هذه الحالات جائزة لما أقسم رسول الله a مرتين بأب الأعرابي، والحديث لا شك في صحته، أخرجه بالسند، وبالطريق الصحيح كل من الإمام مسلم، والإمام أبو داود، والحافظ الدارمي، والحافظ ابن خزيمة، وغيرهم[1]، ولم يطعن فيه أحد، ولرسول الله a ولأصحابه الكرام أمثال هذه الأقسام في مواضع كثيرة مذكورة في الصحاح، وإن أردت التفصيل عن هذه المسألة راجع كتابنا (حجج المتقين)، ففيه تصل الى الاطمئنان واليقين[2].

وأما ثالث الأجوبة فهو أن قوله (بالقمر) ليس مقسما به، بل هو متعلق بقوله: (نسبة)، فقدم عليه اهتماما يذكر انشقاق القمر، لأن الناظم بصدد ذكر معجزات الرسول الأكرم، فيكون معنى البيت على هذا (أقسمت) اي أقسم بالله عزوجل، فحذف المقسم به، لتعينه (ان له) اي لرسول الله a (نسبة)، أي: مشابهة، ومناسبة (من قلبه) أي: من جهة قلبه الشريف a (بالقمر المنشق) في وجوه الشبه المذكورة، ومعنى البقية من البيت كالسابق، فعلى هذا التوجيه الوجيه ليس في البيت قسم بغير الله سبحانه، بل القسم به عزوجل، لكن فيه نوع بعد عن بعض

(١) صحيح مسلم، ١٦٨/١، من شرح النووي، وسنن ابي داود، ٢١٨/٣، من شرح العون، رقم: ٣٢٥٢، وسنن الدارمي، رقم: ١٥٧٨، وصحيح ابن خزيمة: ٣٠٦/١٥٨/١.

(٢) حجج المتقين: ١٨٨ حكم اليمين بغير الله سبحانه.

الأذهان، كما ان فيه نوع مخالفة لبعض القواعد النحوية، ومن المعلوم ان أمثال هذه المحذورات البسيطة مغتفرة في الأدبيات الشعرية، فلتغمض عنها فيما ذكر، والله سبحانه يهدي من يشاء.

ومن الأبيات التي اعترتها تخديشات من بعض أناس متعسفين البيت التالي (واغفر الهي لكل المسلمين....)، ثم يقول الأديب:

بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم

فأبدى بعض من شيمته نقض المستحسنات الدينية المألوفة في هذا البيت نقدين، أحدهما: التوسل بجاه رسول الله a في غفران الله للمسلمين، وفي هذا التوسل نوع من الشرك حسب ما أدى اليه عقل الناقد نفاقا، والنقد الآخر هو: أن قول الشاعر واسمه قسم مخالف لما ثبت عن رسول الله a من قوله a : ((من حلف بغير الله فقد كفر))، فعلى هذا إن هذا البيت من الأبيات الكفرية بدلا عن أن يكون قربة عند هذا الناقد غير البصير، والعياذ بالله تعالى من سوء الفهم والنفاق.

ونحن نقول في جواب أول النقدين أن التوسل بجاه الحبيب المصطفى a مشروع، ورد في السنة السنية بأدلة وبراهين عدة، منها الحديث القدسي السابق، عن عمر بن الخطاب c من سؤال أبينا آدم من الله عزوجل لغفرانه بحق محمد a [1]، والحق والجاه متقاربان معنى، ومنها ما أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه بسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي a فقال: يا نبي الله أدع الله أن يعافيني، فقال a : ((ان شئت أخرت لك، فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت، قال: لا أدع الله لي، فأمر a أن يتوضأ، وأن يصلي ركعتين،

(١) سبق منا تخرجه.

وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد a نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي، فتقضى، اللهم فشفعه في، ففعل الرجل فبرئ))[١].

قال الترمذي والحديث حسن صحيح، وأخرجه أيضا الأمام أحمد بن حنبل في مسنده بثلاثة طرق قوية لا بأس بها، قال الشيخ البنا في شرح مرتب المسند: صحح هذا الحديث الحاكم على شرط الشيخين، وأقره الحافظ الذهبي، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وأخرجه أيضا ابن ماجة في سننه، وقال في آخر الحديث: قال أبو اسحاق هذا حديث صحيح، قال في تحفة الأحوذي: وأخرجه النسائي، وزاد في آخره: ((فرجع وقد كشف الله عن بصره))[٢].

وأخرج هذا الحديث أيضا الحافظ الطبراني في الكبير، وفي الصغير، وأخرج بالسند قبل الحديث المذكور قصة وهي ما ملخصه: عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان c ، (أي: أيام خلافته) في حاجة، فكان عثمان لا ينظر في حاجته، فلقي ذلك الرجل عثمان بن حنيف، فشكى ذلك اليه، فقال ابن حنيف: توضأ، ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: (اللهم اني أسألك، وأتوجه اليك بنبيك محمد a نبي الرحمة، يا محمد اني أتوجه بك الى ربي، فتقضى لي حاجتي)، وتذكر حاجتك، فانطلق الرجل، فصنع ما قاله له، ثم اتى باب عثمان بن عفان، فبكل سهولة وصل الى الخليفة، فأكرمه، وقال له: سل حاجتك، فذكر حاجته، فقضاها له، وقال له: ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم ان الرجل خرج، فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي

---

(١) جامع الترمذي: ٢٨١/٤. من تحفة الأحوذي رقم: ٣٥٨٧.

(٢) ينظر ترتيب مسند أحمد للشيخ البناء وشرحه له: ٢٩٨/١٤، وسنن ابن ماجة رقم: ١٣٨٥، وتحفة الأحوذي: ٢٨٢/٤، من الطبعة الحجرية.

حتى كلمته، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنني شهدت رسول الله a ، وأتاه ضرير، فشكى اليه a ذهاب بصره الى آخر الحديث السابق[١]. ثم قال الطبراني في الصغير بعد ذكر طرق هذا الحديث: والحديث صحيح، ويعني بالحديث تمام القصة، يقول الشيخ البنا في شرح ترتيب مسند أحمد بعد ما نقل حديث وقصة عثمان بن حنيف: قلت يستفاد منه أن التوسل بالنبي a يجوز في حياته، وبعد موته a [٢].

قال في تحفة الأحوذي وليعلم أن التوسل بالأنبياء والصلحاء ليس توسلا بذواتهم، بل بمناصبهم، وأعمالهم المرضية عند الله عزوجل، فالتوسل برسول الله a توسل بوجاهته عند الله عزوجل، وبسفارته بين رب العالمين، وبين عباده، وبعباداته، وأعماله الحكيمة، وأخلاقه العظيمة، ومجاهداته الفائقة عن طوق البشر، وهداياته للضالين، وصدقاته الجسيمة للمحتاجين، وغير ذلك من الأعمال الحسنة المرضية مما يعجز الأقلام عن الجريان بإحصائها، وكذا غير الأنبياء من عباد الله الصالحين، فيتوسل بهم بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة، ولا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله الفاضلة، فإذا قال القائل: اللهم اني اتوسل بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم النافع.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها: ((أن النبي a حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله عزوجل بأعظم عمل عمله، فارتفعت الصخرة))[٣]، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة محذورا شرعا، او

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ١٧/٩، رقم: ٨٣١١، والمعجم الصغير: ٣٦٦، رقم: ٥٠٨.
(٢) شرح مرتب مسند أحمد للشيخ أحمد البنا: ٣٠٠/١٤.
(٣) أخرجه البخاري: ٢٧٠/١٣ رقم: ٣٤٦٥ عن ابن عمر.

كان شركا كما يزعمه المتشددون لم تحصل الإجابة من الله عزوجل لهم، ولا سكت النبي a عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم[١].

وليعلم ايضا ان التوسل بالمذكورين كما كان يجوز في حال حياتهم كذلك يجوز بعد وفاتهم، لما ثبت أن الأنبياء احياء في مراقدهم المباركة[٢]، فرعايتهم، ورسالتهم، وبركاتهم جارية علينا حتى ثبت: ((ان رسول الله a يرد على أمته السلام حينما يسلمون عليه a))[٣]، والحمد لله على ذلك، وإضافة الى ذلك أمرنا ان نقول ونحن في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فنخاطب الحبيب المصطفى a بخطاب الأحياء، ثم نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، أي أشهد انه a الآن هو رسول الله a ، وليس كان في الماضي فقط، وانتهى رسالته بالوفاة، كما يلزم ذلك من كلام الناقدين بحيث لا يشعرون، فإن هذه العقيدة تكاد ان تكون كفرا والعياذ بالله، وكذلك صلحاء الأمة ايضا أحياء في قبورهم، بدليل القياس على الشهداء الذين قال في حقهم الباري عزوجل: ((ولا تحسبن اللذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون))[٤].

هذا! أيها العزيز المستمع الى الحق لعلك بما أملينا ه عليك امتلأ قلبك، وذاكرتك الشريفة بالإذعان بأن التوسل بمن ذكر حق شرعي ثابت لاسيما بالرسول المصطفى a ، فإنه قائد شفعاء المتوسلين، وكذا بقية الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحون، فإن ما ذكر من بديهيات الدين الحنيف، اذا لا تصغ الى من ينكره فإنه محروم من شفاعة الشافعين، ووساطة المقربين.

---

(١) ينظر تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: ٢٨٢/٤ الطبعة الحجرية.

(٢) سنن ابي داود، رقم: ١٠٤٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

والنقد الثاني على الشطر الثاني من البيت المذكور وهو قوله: (واسمه قسم من أعظم القسم)، حيث ان هذا الحكم بحسب الظاهر مخالف لقوله a : ((من حلف بغير الله فقد كفر))[١].

الجواب من وجهين، الأول: يمكن ان يكون الأديب المادح على مذهب من يعتبر القسم باسم النبي a قسما حقيقيا مستثنى من حرمة القسم بغير الله سبحانه، يقول الإمام القرطبي في تفسيره: قال الإمام أحمد بن حنبل c : اذا حلف بالنبي a انعقدت يمينه، لأنه حلف بما لا يتم الإيمان إلا به، فتلزمه الكفارة كما لو حلف بالله[٢]، وقال الزرقاني في شرح موطأ الأمام مالك: استثنى بعض الحنابلة من ذلك، "اي من حرمة الحلف بغير الله" الحلف بنبينا محمد a فقال: ينعقد به اليمين، وتجب الكفارة بالحنث به، لأنه a أحد ركن الشهادة التي لا تتم إلا به[٣].

قال الإمام القرطبي في تفسيره الشهير نقلا عن ابن خوذ منداد: واستدَل ايضا مَن جوَّز ذلك، "اي الحلف بالنبي a " بأن ايمان المسلمين جرت مند عهد النبي a الى يومنا هذا ان يحلف بالنبي a حتى ان أهل المدينة المنورة الى يومنا هذا اذا حاكم احدهم صاحبهم قال احلف بحق ما حواه هذا القبر، وبحق ساكن هذا القبر "يعني النبي a "[٤].

---

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه، رقم: ١٥٣٥.
(٢) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي: ٦/٢٧٠.
(٣) شرح الشيخ الزرقاني على موطأ الأمام مالك: ٣/٣٧٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي: ١٠/٤٢.

فمعنى الشطر الثاني من البيت المذكور على هذا ان القسم باسم الرسول الأكرم قسم من الأقسام العظيمة التي تجب الكفارة بالحنث به، فتبين ان الأديب البوصيري له في هذا الحكم سلف من الأسلاف المعتمدة لاسيما المجتهد الكبير الأمام أحمد بن حنبل الذي اعترف بفضله اهل الآفاق بالاتفاق.

هذا! وأما الوجه الثاني من الجواب فهو ما يأتي: ليس المراد من البيت المذكور جواز القسم باسم محمد a ، بل المراد ان اسمه الشريف قد اقسم الله عزوجل به في كتابه المجيد بقوله: ((لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون))[1]، وهذا قسم لو تعلمون عظيم، كما انه تشريف كريم لرسول الله a حيث ان الله سبحانه لم يحلف بحياة احد سوى حياة الرسول الأكرم a ، بل لم يحلف سبحانه بأي بشر في الكون غيره a .

هذا، وليعلم ان هذا البيت ليس من انشاء البوصيري، ولا انشاده، بل زاده بعض الشعراء المجهولين في ابيات على قصيدة البردة، فإن البردة تنتهي عند هذين البيتين:

وأذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم
ما رنحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادى العيس بالنغم

فكل الأبيات الواقعة بعد هذين البيتين الى انتهاء القصيدة من الزوائد، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، وأخيرا نرجو، ونأمل من الأخوان والأحباء ان لا يسيئوا الظن بالسلف الصالح، فإن فضلهم علينا كثير عظيم، ولولاهم، ولولا كتبهم القيمة، ولولا بقية تراثهم الفاخرة لكنا على جهل بحت، فشكر الله عزوجل

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

مساعيهم، فيجب علينا ان نشكرهم بدلا عن ان ننقدهم، ونعترض عليهم، او نذكرهم بسوء معاذ الله (فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله)[1].

فجزاهم الله عنا وعن نشر الإسلام خير جزاء، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه: ٣/١٣٢ من تحفة الأحوذي، رقم: ١٩٥٩.

المصادر

١. أخبار مكة للأزرقي.
٢. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبدالبر النمري، طبع بهامش الإصابة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨.
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عزالدين ابن الاثير الجزري، مصر، القاهرة، ١٤٢٢.
٤. الإصابة في تمييز الصحابة، لحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار المعرفة، لبنان، ١٤٢٥.
٥. أصول الأحكام، الدكتور حمد عبيد الكبيسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥.
٦. إعانة الطالبين للشيخ إبي بكر الدمياطي.
٧. اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الكردي.
٨. إنسان العيون في سيرة الأمين المامون، برهان الدين الحلبي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٤٩.
٩. إيضاح المكنون المرفق بكشف الظنون، اسماعيل باشا الباباني، المطبعة الاسلامية، طهران، ١٣٨٧
١٠. الباعث على الإنكار البدع والحوادث تأليف عبد الرحمن الشهير بأبي شامة.
١١. البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مطبعة دار التقوى، ١٤٢٠.
١٢. البدر الطالع تأليف محمد بن علي الشوكاني.
١٣. تحفة الأحوذي شرح جامع الامام الترمذي، محمد عبدالرحمن المباركفوري، الطبعة الحجرية، الهند، ١٣١٨.
١٤. تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر الهيتمي.
١٥. تفسير إرشاد العقل السليم للعلامة أبي السعود العمادي.
١٦. تفسير الامام عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الطباعة العامرة.
١٧. تفسير العلامة أبي السعود الآمدي، بهامش تفسير الإمام الرازي.
١٨. تفسير لباب التأويل.
١٩. جامع البيان، تفسير الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة بولاق
٢٠. الجامع لاحكام القرآن لمحمد بن احمد الامام القرطبي، دار الكتب المصرية

٢١. الحاوي للحافظ السيوطي.
٢٢. حجج المتقين، طيب عبدالله سليمان، مطبعة وزارة التربية.
٢٣. الدلائل لأبي نعيم.
٢٤. الدلائل للبيهقي.
٢٥. رفع الخفا، محمد بن الحاج، شرح منظومة ذات الشفاء لمحمد بن الجزري، أوفسيت على الطبعة، ايران، ١٣٧١/هـ /ش.
٢٦. تفسير روح المعاني، السيد محمود افندي الآلوسى البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧. سنن الامام ابن ماجة الفزويني مع حاشيتي السندي والسيوطي، مطبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.
٢٨. سنن الدارمي.
٢٩. السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام الحميري، طبعة ابن حجر، دمشق، ١٤٢٦هـ.
٣٠. شرح عبدالباقي الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، مطبعة الازهرية، مصر، ١٣٢٥.
٣١. شرح عبدالرؤوف المناوي على الشمائل المحمدية للامام أبو عيسى الترمذي، وبهامشه شرح علي القاري، المطبعة الادبية، مصر، ١٣١٧.
٣٢. شرح محمد عبدالباقي الزرقاني على كتاب الموطا للامام مالك بن أنس، طبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٣٨٣.
٣٣. شرح مولد ابن حجر لابن عابدين.
٣٤. شفاء الغرام للفاسي.
٣٥. الشفاء للقاضي عياض مع شرح الخفاجي.
٣٦. صحيح الحافظ ابن خزيمة.
٣٧. عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة للشيخ عمر أحمد الخربوتي.
٣٨. عمدة القاري شرح صحيح الامام البخاري، محمود بن احمد العيني، دارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨.
٣٩. العمدة بشرح البردة للشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي.

٤٠. عون المعبود شرح سنن الامام ابي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادين الطبعة الحجرية، الهند، ١٣٢٢.
٤١. فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري، ابن حجر العسقلاني، مطبعة مصر.
٤٢. الفتح الرباني شرح مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني، احمد البنا، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٦.
٤٣. الفتوحات المكية لابن حجر الهيثمي، شرح قصيدة الهمزية لمحمد بن سعيد البوصيري، مطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٧.
٤٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة، المطبعة الاسلامية، طهران، ١٣٨٧.
٤٥. كنز العمال للهندي.
٤٦. لباب التأويل لعلي بن محمد البغدادي.
٤٧. لسان العرب لابن منظور.
٤٨. المجتبى سنن الامام النسائي مع حاشيتي السندي والسيوطي، طبعة مصر.
٤٩. مجموعة فتاوى محمد بن صالح العثيمين.
٥٠. المستدرك للحاكم النيسابوري.
٥١. المعجم الأوسط للطبراني، ابوالقاسم سليمان بن احمد الطبراني.
٥٢. المعجم الصغير للطبراني، ابوالقاسم سليمان بن احمد الطبراني.
٥٣. المعجم الكبير، ابوالقاسم سليمان بن احمد الطبراني، طبعة الوطن العربي، ١٤٠٠.
٥٤. المنهاج شرح صحيح الامام مسلم بن الحجاج، الامام النووي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٩.
٥٥. المواهب اللدنية للقسطلاني.
٥٦. المورد الهنى في المولد السنى للحافظ عبد الرحيم العراقي.
٥٧. النفحات شرح قصيدة البردة للعدوي.
٥٨. هدية العارفين المرفق بكشف الظنون، اسماعيل باشا البابـاني، المطبعة الاسلامية، طهران، ١٣٨٧.
٥٩. وفيات الاعيان، احمد بن محمد الشهير بابن خلكان، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٧.

الفهرست

بين يدي الكتاب..... ٦
حياة المؤلف..... ٨
المقدمة ١٢
أدلة شرعية الاحتفال بالمولد..... ١٤
المصادر..... ٦١
الفهرست..... ٦٤